شَرْحُ الصَّدْرِ

بِفَضَائِلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ

تأليف /

فتحي عبد الكريم غراب

تقديم

دكتور / محمد محمود بندق

مكـتبـة الإيمـان

المنصورة أمام جامعة الأزهر

ت : ٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى صـــائم أيام شهر رمضان وقائم لياليه إيمانا واحتسابا لوجه الله الكريم.

إلى مَنْ لسانه دائما معطر بذكر الله الجليل العظيم.

إلى من يرجو رحمة ربه الحي القيوم الرحمن الرحيم

إلى من يتطلع لليلة القدر فيسأل ربه الستر والعفو والغفران

إلى رُوحَـــيْ نجل شقيقي " عبد الواحد " ووالدته عليهما من الله سحائب الرحمة والرضوان

إلى رُوحَيْ وَالَدِيَّ رحمهما الله وأسكنهما فسيح الجنات

إلى مَـــنْ أتمـــنى مرافقته طيلة عمري وحياتي، فأخلاقه حميدة ، والحياة معه سعيدة

إلى صغيرتي (نادية) أيضاً التي طالما لازمتني وعبثت بأوراقي وأنا أكتب هذا الكتاب !!! !!! !!! !!!

أقدم كتابي

فتحي غراب

بسم الله الرحمن الرحيم

(تقديم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنبياء وأشرف المرسلين سيدنا محمد النبي العربي المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فمما لا شك فيه أن ليلة القدر عظيمة الفضل والقدر ، وهي أفضل ليلة في حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم لما فيها من المنح والفيوضات الربانية ، والتجليات والفتوحات الإلهية لهذه الأمة المفضلة على جميع الأمم السابقة .

ولقد سعدت بقراءة كتاب (شرح الصدر بفضائل ليلة القدر) وكم رأيته شـيقاً ممـتعاً شـاملاً جامعاً لمعلومات غزيرة قيمة حيث بسط المؤلف لنا الحديـث عن ليلة القدر وفضلها وهذا هو الكتاب الثاني للمؤلف بعد أن لقي كتابه الأول (الإسلام وبناء الإنسان) قبولاً من السادة القراء وترحيباً مـن المكتبات الإسلامية التي كانت بحق مفتقرة إليه ، وفي حاجة إلى مثل تلك الكتب التي توضح وتيسر أمور ديننا الحنيف وتنير طريق السالكين إلى الله فلاقـى مـن السعة والانتشار ما لاقاه وسار القراء يقبلون على قراءته ويتهافتون على اقتنائه .

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن يبارك لنا في مؤلفه فيفيض علينا بعلمه الغزيـر ويكون له مثل تلك الكتب العدد الوفير التي نحن في أمس الحاجة إليها إنه نعم المولى ونعم القدير

د/ محمد محمود بندق

كلية التربية ببور سعيد ـــ جامعة قناة السويس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين .

الحمد لله الذي شرح بالإسلام صدورنا، ويسر بفضل الإيمان أمورنا، ورفع جلـــيل قدرنا بليلة قدرنا، وافضل الصلاة وأزكى التسليم واعم التشريف والـــتكريم، وأتم التحيات على سيدنا وإمامنا في الدنيا، وشفيعنا في الآخرة محمـــد بن عبد الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين. **أما بعد ،**

إذا كان الله عز وجل قد كَرَّمَ رسولَه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم في رجـــب، فأسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى الســـماوات، إلى سدرة المنتهى ، حيث أوحى إليه ما أوحى، وكانت ليلة الإسراء والمعراج ورحلتها الطيبة المباركة هي أفضل ليلة في حياة النبي محمد صـــلى الله عليه وسلم حيث رأى ربه عز وجل بِعَيْنَي رأسه وأراه من آياته الكبرى.

وإذا كان الله قد كرم نبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم في النصف من شـــهر شعبان في العام الثاني للهجرة، فحَوَّلَ القبلةَ من المسجد الأقصى إلى المســـجد الحرام، وجعله هو القبلة الدائمة للمسلمين في صلاتهم حتى يرث الله الأرض وما ومن عليها، وكان هذا استجابة منه عز وجل لرغبة جعلت رســـوله يقلـــب وجهه في السماء، وكان تحويل القبلة من أعظم الأحداث

التي مرت بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق الله العظيم (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا)[1] إذا كان هذا وذاك فقد خص شهر رمضان — وهو آخر الشهور الثلاثة — بأن جعل ليلة القدر إحدى لياليه، وبارك فيها فأنزل فيها القرآن، وقرر أنها خير من ألف شهر — وكان هذا — هو أيضا — تكريما لرسوله ومصطفاة محمد صلى الله عليه وسلم حيث خصه وأمته بهذه الليلة المباركة فهي أعظم ليلة في حياة أمته، عندما تقاصر أعمار أمته عن أعمار الأمم، لينالوا بعبادة الله عز وجل فيها فوق ما تناله الأمم الأخرى بعبادة ألف شهر! ...... فقد قال الإمام مالك في الموطأ: (بلغني أنه صلى الله عليه وسلم تقاصر أعمار أمته، ألا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغه غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر)[2].

وأيام العام كله ليست متساوية في الفضل فهناك ثلاث عشرات من الأيام مفضلة على غيرها العشرة الأولى هي: الأيام العشرة الأولى من شهر المحرم لأن فيها يوم عاشوراء ولسنا بصدد التحدث عن يوم عاشوراء وفضائله لأنه ليس المقصود في هذا البحث وسوف نفرد له بحث خاص به أن شاء الله إن كان في العمر بقيه ففضائله كثيرة وأحداثه غزيرة. والأيام العشرة الثانية المفضلة على بقية الأيام هي. العشرة الأخيرة من شهر رمضان حيث فيها ليلة القدر التي هي أفضل ليلة في حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وسوف نرى في هذا البحث فضل هذه الليلة الطيبة المباركة والعشرة

---

(١) سورة البقرة ١٤٤

(٢) انظر الموطأ للأمام مالك ص١٨٤

الأخيرة المفضلة هي : الأيام العشرة الأولى من شهر ذي الحجة ففيها تؤدى مناسك الحج، ويوم عرفة، ويوم النحر، والتي يتجلى فيها رب العزة ويباهي ملائكــته ويقــول لهم : انظروا إلى عبادي جاءوا شعثاً غبرًا أشهدكم أنني غفــرت لهم ذنوبهم ولو كانت مثل زبد البحر فيرجع الحاج وقد غفر الله ذنوبــه كيوم ولدته أمه، ولسنا في حاجة للتحدث عن هذه العشرة أيضا، وإنمــا المقصود في هذا البحث فضل ليلة القدر واستعنت بالله، واعتصمت به، وتوكلت عليه، ودونت هذا البحث (وهى رسالة جليلة القدر) خدمت بهــا ســورة القدر وسميتها (شرح الصدر بفضائل ليلة القدر) جمعتها وأنا الفقير المعترف بالعجز والتقصير، أسير الذنوب والمساوئ ، وان لم أكن من أهل هذا الشأن ولا من فرسان ذلك الميدان لكن حملني على جمعها رجائي في الله عــز وجــل قــبولها، وعموم نفعها، اللهم اجعلها خالصه لوجهك الكــريم، وتقبــلها وانفع بها النفع العميم كل من تلقاها بقلب سليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وهو نعم المجيب وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴿٥﴾

صدق الله العظيم

الفصل الأول

سورة القدر

تسميتها.

سبب نزولها.

صفتها.

الفصل الأول

سورة القدر

قدر: القديرُ والقادر: من صفات الله عز وجل يكونان من القُدْرة ويكونان مـــن التقدير. وقوله تعالى :(إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[1]، من القُدْرة، فالله عز وجل على كل شيء قدير، والله سبحانهُ مُقَدِّرُ كلِ شيء وقاضية. القَدَرُ القضاء المُوَفَّقُ. يقال: قَدَّرَ الإله كذا تقديرا، وإذا وافق الشيءُ الشيءَ قلت: جاءت قَدَرُهُ. (ابن سيده) : القَدْرُ والقَدَرُ: القضاءُ والحُكْمُ، وهو مُا يقَـــدِّره الله من القضاء، ويحكم به من الأُمور. قال الله تعالى (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَـــيْلَةِ الْقَـــدْرِ) ، أي الحُكْم، كما قال تعالى: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)، وأنشد الأخفش لُهدبْةَ بن خَشْرمٍ.

ألا يا لقَوْمِيَ للنـــوائب والقَـــدْرِ ! ∴ وللأمْر يأتِي المَرْءَ من حيثُ لا يَدْرِيّ.

وللأرض كم من صالح قَـــد تَوَدَّأتْ ∴ عليـــه، فَوارَتْـــهُ بلَمَّاعَـــة قَـــفْـــر.

فَلاذَا جلالٍ هِبْـــنَـــهُ لجلالـــة ∴ ولا ذا ضَيَاعٍ هُنَّ يَتْرُكْنَ للفَقْرِ.

تودَّأتْ عليه : أي استوت عليه. واللماعة: الأرض التي يلمع فيها السَّرَابُ. وقولة: فلا ذا جلال انتصب ذا بإضمار فعل يفسره ما بعده أي فلا هِبْنَ ذا جَـــلاَل، وقوله: ولاذا ضياع منصوب بقوله يتركن. والضَّيَاعُ،: الضَّيْعَةُ، والمعنى أن المنايا لا تَغْفُلُ عن أحد، غنيًّا كان أو فقيراً، جليل القَدْرِ كان أو

---

(١) سورة البقرة ٢٠

وضـــيعاً. وقوله تعالى(لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) ، أي ألف شهر ليس فيها ليلة القَدر، وقال الفرز دق:

ومـــا صـــبَّ رجلي في حديد مجَاشع ∴ مع القَدْرِ ألا حاجةٌ لِيَ أُرِيدُهَا .

والقَـــدَرُ : كالقَدْرِ ، وجمعهما جميعا أَقْدَار. وقال اللحياني : القَدَرُ الاسم، والقَدْرُ المصدر. وانشد:

كُلُّ شيءٍ حتى أخيكَ متَاعُ ∴ وبِقَدْرٍ تَفرُّقٌ واجتمَاعُ.

وأنشد في المفتوح:

قَدرٌ أحلَّكَ ذا النخيلِ، وقد أرَى ∴ وأَبيكَ مالكُ ذو النَّخيلِ بدارِ.

وفي الحديث ذكر ليلة القدر، وهي الليلة التي تُقَدَّرُ فيها الأرزاقُ وتُقْضَى [1] القَـــدْرُ: المِقْدَارُ. يقال: هم قَدْرُ مائه : مساوي الشيء من غير زيادة ولا نقصـــان، المـــنـــزلةُ والشَّأن. يقال: له عندي قَدْرٌ والجمع أقْدَارٌ، وسُورةُ القَدْرِ: من سور القرآن الكريم وليلة القَدْرِ: ليلة مباركة من شهر رمضان، أُنْزِلَ فيها القُرآن الكريم.[2] وإنما سميت ليلة القدر ، لأنها يقدر فيها الأمور والأحكـــام كلها من تلك السنة إلى السنة القابلة ، ثم تسلم المدبرات دفتر الـــرحمة والعذاب إلى جبرائيل عليه السلام ، ودفتر النباتات والأرزاق إلى ميكائـــيل علـــيه السلام ودفتر الأمطار والرياح إلى إسرافيل عليه السلام ، ودفـــتر قـــبض الروح وانقضاء الآجال إلى ملك الموت عليه السلام لقوله

---

(١) أنظر لسان العرب لابن منظور مادة (قدر) دار أحياء التراث العربي بيروت

(٢) المعجم الوجيز طبعة وزارة التربية والتعليم سنة٢٠٠١ م مادة (قدر)

تعـــالى: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) . أو القدر بمعنى الضيق ، لأن الأرض تضيق تلك الليلة لكثرة نزول الملائكة عليهم السلام [(١)] كما سنعرف فيما بعد.

أخـــرج الترمذي والحاكم وابن جرير، عن الحسن بن على، قال: إن النبي صـــلى الله عليه وسلم رأى بني أميه على منبره فساءه ذلك، فنـــزلت (أنا أعطيـــناك الكوثر) [(٢)] ، ونزلت (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَـــيْلَةُ الْقَـــدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) تملكها بعدك بنو أمية. قال القاســـم الحداني: فعددنا، وإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص. وأخرج ابـــن أبي حـــاتم والواحدي عن مجاهد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكـــر رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك، فأنزل الله (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَـــدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ)التي لبس ذلك الرجل السلاح فيها في سبيل الله وأخرج أبن جرير عن مجاهد، قال: كان في بنى إسرائيل رجل يقـــوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي ، فعمل ذلك ألف شهر، فأنزل الله (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) عملها ذلك الرجل [(٣)]. وجاء في تفسير الألوسي : أخرج ابن أبي حاتم عن على بن عروة قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله

---

(١) أنظر درة الناصحين في الوعظ والإرشاد للشيخ عثمان بن حسن الخوبري ص ٢٨٤

(٢) سورة الكوثر

(٣) أنظر أسباب النـــزول لآيات من القرآن الكريم للعلامة جلال الدين السيوطي جـــ٢صـــ٣٨١ كتاب الجمهورية.

ثمـــانين عاماً لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشــع بن نون فعجب أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك فأتـــاه جـــبريل عليه السلام فقال : يا محمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء الـــنفر ثمانين سنة فقد أنـــزل الله عز وجل عليك خيراً من ذلك فقرأ عليه (إِنَّـــا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ {١} وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ {٢} لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَـــيْرٌ مِّـــنْ أَلْفِ شَهْرٍ) ثم قال هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك منه فسر بذلـــك رسول الله صلى الله عليه وسلم .[١] وجاء في درة الناصحين : قيل سبب نزولها أنه لما دنا وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقرب فراقه عن أمته بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحزن وقال : إذا خرجت من الدنيا فمـــن يبلغ سلام الله على أمتي وأغتم قلبه عليه الصلاة والسلام ، ففرح الله قلـــبه بقوله تعالى(تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ) حتى يـــبلغوا سلامي ولا أمنع عنهم فلا تحزن يا محمد .[٢] وسورة القدر مدنية (أي نزلت بالمدينة أو ما يتبع المدينة من حدود) وذلك قول اكثر المفسرين وقـــيل. أنهـــا مكـــية (أي نزلت بمكة أو ما يتبع مكة من حدود) وذكر الواحـــدي أنهـــا أول سورة نزلت بالمدينة وقال جلال الدين السيوطي في كـــتابة الإتقـــان: فيها قولان والأكثر أنها مكية، ويستدل بكونها مدنية بما أخـــرجه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي رضى الله تعالى عنهما : أن الـــنبي صلى الله عليه وسلم أُرى بني أمية على منبره فساءه ذلك فنـــزلت

---

(١) انظر تفسير الألوسي ج ١٨ ص ٦٠٩ ، وانظر فضل ليلة القدر للشيخ موسى بن سعد ص ٣٣

(٢) انظر درة الناصحين في الوعظ والإرشاد لشيخ عثمان بن حسن الخوبري ص٢٨٥

(إِنَّـا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) ونزلت (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ). وأيا ما كان فقد استشكل وجه الدلالة على كون السورة مكية أو مدنية ويحتمل أنها مدنية، ومكـــية فلعلـــه تكرر نزولها تنبيها على مزيد شرف مدلولها الذي هو ليلة القـــدر، وجاء في حديث أخرجه محمد بن نصر عن أنس مرفوعا أن سورة القـــدر تعـــدل ربع القرآن الكريم وذكر عن واحد من الشافعية أنه يسن قـــراءتها بعد الوضوء، وقال بعض أئمتهم ثلاثا ووجه مناسبتها للسورة التي قبـــلها في ترتيب المصحف (سورة العلق) أنها كالتعليل للأمر بقراءة القرآن المـــتقدم فـــيه كأنـــه قيل أقرأ القرآن لأن قدره عظيم وشأنه فخيم. وقال الخطابي: المراد بالكناية في قوله تعالى فيها أنا أنزلناه الإشارة إلى قوله تعالى اقرأ ولذا وضعت بعد وارتضاه القاضي أبو بكر بن العربي وقال: هذا بديع جدا وذكر العلامة أبو محمد عبد الله بن أسعد اليمني الشافعي في كتابة الدر النظـــيم في خواص القرآن العظيم قال : قال لي بعض العارفين: ألا أعلمك اسم الله الأعظم؟ قلت: بلى ! قال: اقرأ أم القرآن والصمدية وآية الكرسي وســـورة القدر ثم استقبل القبلة وأدع بما أحببت، ومن كتبها وشربها وهبة الله تعـــالى النور في بصره واليقين في قلبه[1] . وقد تحدثت سورة القدر عن بدء نزول القرآن العظيم، وعن فضل ليلة القدر على سائر الأيام والشهور، لمـــا فيها من الأنوار والتجليات القدسية، والنفحات الربانية، التي يفيضها الـــباري جل وعلا على عبادة المؤمنين، تكريما لنـــزول القرآن المبين، كما

---

(١) أنظـــر الدر النظيم في خواص القرآن العظيم. للعالم الفقيه أبي محمد عبد الله بن اسعد الشافعي صـــ١٢٥ المطبعة السعيدية.

تحدثـــت•عن نزول الملائكة الأبرار حتى طلوع الفجر، فيالها من ليلة عظيمة القدر، هي خير عن الله تعالى من ألف شهر !! وآيات سورة القدر ست في المكي والشامي وخمس فيما عداهما . والله أعلم.

الفصل الثاني

ليلة القدر

و

نزول القرآن الكريم

إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ فِى لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾

يعــني القرآن الكريم وإن لم يجر له ذكر في هذه السورة، لأن المعنى معلوم، والقرآن الكريم كله كالسورة الواحدة. وقد قال عز وجل : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)[١] . وقال أيضا: (حم {١} وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} إِنَّــا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ).[٢] يريد في ليلة القدر. وقال الشعبي: المعنى إنا ابــتدأنا إنزاله في ليلة القدر. وقيل بل نزل به جبريل- عليه السلام- جملة واحـــدة في لـــيلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا إلى بيت العزة، وأمـــلاه جبريل على السفرة ثم كان جبريل يترله على النبي صلى الله عليه وســـلم نجومـــا نجوما. وكان بين أوله وآخره ثلاث وعشرون سنة . ولقد أجمـــع المفسرون على إن المراد: نحن أنزلنا هذا القرآن المعجز في ليلة القدر والشرف ولقد أسند الله عز وجل إنزال القرآن الكريم إليه وجعله مختصاً به دون غـــيره، عظم الله عز وجل الوقت الذي أنزل فيه القرآن الكريم ولقد قال الله تعالى في بعض المواضع (إِنِّي) كقوله تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِـــيفَةً)[٣].، وفى بعض المواضع قال (إِنَّا) كقوله تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)[٤]، وقوله (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ)[٥] وقوله (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا)[٦] وقوله

---

(١) سورة البقرة ١٨٥

(٢) أول سورة الدخان

(٣) سورة البقرة (٣٠)

(٤) سورة القدر

(إِنَّـا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)[1]. وقوله تعالى: (إِنَّا) تارة يراد به التعظيم، وحمله علـى الجمـع محال لأن الدلائل دلت على وحدة الصانع، لأنه لو كان في الآلهـة كـثرة لانحطت رتبة كل واحد منهم عن الإلهية. لأنه لو كان كل واحـد منهم قادر على الكمال لا ستغنى بكل واحد منهم عن كل واحد منهم، وكونه مستغنى عنه نقص في حقه فيكون الكل ناقصا، وان لم يكن كل واحد منهم قادرا على الكمال كان ناقصا ومن هنا فقوله تعالى: (إِنَّا) محمـول على التعظيم لا على الجمع. ومعنى أن الله انزل القرآن الكريم في لـيلة القدر: أي ابتدأ بإنزاله ليلة القدر لأن البعث كان في رمضان، وانزل إلى سمـاء الدنـيا جملة ليلة القدر، ثم إلى الأرض نجوما، و لم يقل أنزلناه إلى السماء لأن إطلاقه يوهم الإنزال إلى الأرض، والسماء كالمشترك بيننا وبين الملائكـة، فهـي لهـم مسكن ولنا سقف وزينة كما قال تعالى: (وَجَعَلْنَا السَّـمَاء سَـقْفًا مَّحْفُوظًـا)[2] فإنزاله القرآن الكريم هناك كإنزاله هاهنا. والـتقدير أنزلنا هذا الذكر العظيم (فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) أي في فضيلة ليلة القدر وبـيان شرفها، والقدر مصدر قَدَّرْتُ أُقَدِرُ قَدْرٌ، والمراد به ما يمضيه الله من الأمور، قال تعالى:(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)[3] والقَدَرُ والقَدْرُ واحد إلا أنـه بالتسـكين مصدر وبالفتح اسم. قال الواحدي: القَدْرُ في اللغة بمعنى

---

(٥) سورة الحجر (٩)

(٦) أول سورة نوح

(١) أول سورة الكوثر

(٢) سورة الأنبياء (٣٢)

(٣) سورة القمر (٤٩)

التقدير، وهو جعل الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان.

وسميت ليلة القدر لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام. قال عطاء عن ابن عباس: إن الله قدر ما يكون في كل تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وأماته إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية، ونظيره قوله تعالى: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)[1]. وليعلم كل إنسان أن تقدير الله لا يحدث في تلك الليلة، فإنه تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض في الأزل، بل المراد إظهار تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة بأن يكتبها في اللوح المحفوظ وهذا قول عامة العلماء. ونقل عن الزهري أنه قال: (ليلة القدر) ليلة العظمة والشرف من قولهم لفلان قدر عند فلان، أي منزلة وشرف، ويدل عليه قوله تعالى: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ). ثم يحتمل هذا وجهين:

أحدهما: أن يرجع ذلك إلى الفاعل أي من أتى فيها بالطاعات صار ذا قدر وشرف.

ثانيها: إلى الفعل أي الطاعات لها في تلك الليلة قدر زائد وشرف زائد.

وعن أبي بكر الوراق سميت (ليلة القدر) لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر، على لسان مَلَكٍ ذي قدر، على أمة لها قدر، ولعل الله تعالى إنما ذكر لفظة القدر في هذه السورة ثلاث مرات لهذا السبب.

وقيل أن ليلة القدر: أي الضيق فإن الأرض تضيق عن الملائكة. و(إن) يؤتى بها للتأكيد رداً على منكر أو شاك والمخاطبون فيهم ذلك فقد قالوا:

---

(١) سورة الدخان (٤)

مـــن تلقـــاء نفسه. ومرة ثانية قالوا: أنه أساطير الأولية. ومرة ثالثة قالوا : تنـــزلت به الشياطين. فرد على جميع ذلك بذكر الإنزال لا أنه مختلق، ولا من أساطير الأولين. وقد أورد بعضهم بحثا في نظير ما نحن فيه وهو التوكيد بالقســـم في النجم إذا هوى وهو أن المؤمنين يصدقون خبر المولى بلا قسم ولا توكـــيد، والكافـــرون يعـــاندون ولو تعددت الأقسام، وعادة الكفار الانقـــياد للأقسام والتأكيدات فربما حصلت لهم هداية بسبب ذلك على أن فائدة (إنَّ) لا تنحصر في التأكيد للرد بل قد تكون لغير ذلك كالترغيب في تلقـــي الخير والتنبيه بعظمة قدره وشرف حكمه و(نا) يحتمل أنها للمتكلم ومعـــه غـــيره، فإن الله تعالى أنزله والملائكة لهم مدخل في إنزاله، (نَزَلَ بِهِ الـــرُّوحُ الْأَمِينُ) [1] (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ)[2] فيكون نظير (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) أي أنا وملائكة قدسنا أنزلناه، وعلى فـــرض أن الإسناد مجازى للملائكة فلا مانع من الجمع بين الحقيقة والمجاز العقلي في الإسناد، ولا يعترض الجمع بين القديم والحادث في ضمير واحد، فانه حاصل في ضمير يصلون (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ)[3] (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَـــنُ الْخَـــالِقِينَ)[4] ونحوه، ويحتمل أن (نا) للمعظم نفسه فان كانت مشـــتركة حقيقـــية في المعظم نفسه كمن معه غيره فظاهر، وأن كانت في

---

(١) سورة الشعراء (١٩٣)

(٢) سورة النحل (١٠٢)

(٣) آخر سورة التين

(٤) سورة المؤمنون (١٤)

المعظم نفسه مجاز تشبيها له بالجماعة أو استعمال لاسم الكل في الجزء فلا يراد أن التشبيه والكلية والجزئية محلان في حقه تعالى لأنه إنما يلزم المحال لو كانت مشابهة وكلية وجزئية حقيقة وهذا أمر اعتباري يعتبر علاقة مصححه للاستعمال وهذا كما أجاز الأشاعرة وصفه تعالى بصفات الأفعال الحادثة كالخلق والرزق والأحياء والإماتة مع أن اتصافه تعالى بالحوادث محال لكن هذه أوصاف اعتبارية لا صفات حقيقية قائمه بالذات حتى يلزم المحذور.

و(أنزلناه): أي القرآن الكريم، وان لم يتقدم له ذكر لعلمه من المقام إذ السنزول في ليلة القدر التي هي في شهر رمضان دليل على أن المترل هو القرآن الكريم مع قوله (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) كقوله تعالى (مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ)[1] فان ذكر الدابة مع عدم ذكر الأرض فالضمير في ظهرها دليل على أن المراد ظهر الأرض، فضمير الغيبة للقرآن الكريم على الأوجه. والمراد أنزلنا القرآن الكريم جملة واحدة في صحف مطهرة منسوخة من اللوح المحفوظ بأيدي سفرة كرام بروه من الملائكة حتى وضع في بيت العزة الذي هو في سماء الدنيا زاده على البيضاوي أنه في السماء السابعة فلعله متعدد بل جزم بعضهم أن في كل سماء مسجد يقال له بيت العزة ثم نزل مفرقا بحسب الأحداث والظروف التي تتطلبها في عشرين سنه أو ثلاث وعشرين سنة بمدة فتور الوحي بين اقرأ والمدثر ليستفيق ويتشوق ثم نزل (قُمْ فَأَنذِرْ) بياناً للمراد من اقرأ وأن المراد اقرأ

---

(١) سورة فاطر (٤٥)

عـــلى قومـــك فهي نبوة ورسالة معا خلافا لمن قال بتأخر الرسالة ثم عاد للترتيب كما هو في المصحف الآن طبق ما في اللوح المحفوظ كأسماء السور بتوقيف، فان جبريل كان يدارسه إياه كل عام في شهر رمضان فيمحو الله مـــا يشـــاء ويثبت حتى كان عام وفاته دارسه مرتين إشارة إلى ثبات الأمر وأنه هو هو.

وقـــيل: المعنى ابتدأنا إنزاله على محمد صلى الله علية وسلم تلك الليلة بناء عـــلى أن البعـــثة في شهر رمضان ولا ينافيه قولهم على رأس أربعين سنه .

وقـــيل: المـــراد بالإنزال: نقل جبريل له من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ومعـــناه أن جبريل حفظ القرآن الكريم من اللوح المحفوظ ثم نزل إلى سماء الدنـــيا بعد النبوة كما استظهره السيوطي وسياق الأثر صريح فيه، وكان المصـــطفى صلى الله عليه وسلم قد بنا أولا بالرؤية في ربيع الأول فكانت مدتهـــا ستة أشهر ثم أوحى إليه في اليقظة فلما نزل جبريل بالقرآن إلى سماء الدنيا أملاه للملائكة في بيت العزة فأثبتوه في صحفهم.

وقيل : المراد أنزلناه في شأن ليلة القدر والتنبيه على شرفها، والقرآن اسم للقـــدر المشـــترك بين الكل وأبعاضه، فيكون كقول عمر رضى الله عنه لما كرر النبي صلى الله عليه وسلم نداه و لم يجبه لشغل فركض دابته وقال: لقد خشيت أن ينـــزل فيَّ قرآن. وقول عائشة رضى الله عنها في قصة الإفك : وإني لأحقـــر فيَّ نفسي من أن ينـــزل الله فيَّ قراناً يتلى وفى القرآن الكريم (وَمَـــا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ)[1]. فان قيل القرآن كغيره

---

(١) سورة النساء (١٢٧)

مـــن الكتب المنزلة كلام الله عز وجل وكلام الله قديم قائم بذاته لا يوصف بحرف ولا صوت فكيف نزل به جبريل على الرسل؟ قلت: ليس ما نزل به جبريل عين ما قام بذاته تعالى لاستحالة ذلك، وإنما خلق الله له سمعا سمع به كلامـــا مـــن الله عز وجل ليس بحرف ولا صوت ثم عبر عنه جبريل عليه السلام بالألفاظ التي ألقاها على الرسل، فلهذا قيل لها كلام الله.

وقـــال بعـــض المحققـــين: العلم بكيفية الوحي سر من الأسرار ولا يدركه العقـــل، وأول مـــا نزل من القرآن الكريم إلى الأرض : (اقْرَأْ) إلى (مَا لَمْ يَعْلَمْ)[1] في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان و لم ينـــزل جملة واحدة كما نزل سائر الكتب السابقة جملة واحدة لأنه كما قال الفخر الرازي: لو نـــزل جملـــة واحدة لضلت فيه الإفهام وتاهت (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَـــبَلٍ)[2] وجعلنا فيه تمييزا كالإنسان (لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا) أي متشققا (مِّـــنْ خَشْـــيَةِ اللَّـــهِ) فهو كالمطر لو نزل من السماء دفعه لقطع الأشجار وخرب الديار ولأن منه الناسخ والمنسوخ لا يتأتى ذلك ألا فيما نزل مفرقا ومـــنه مـــا هو جواب ومنه ما هو قَوْلٌ قِيلَ أو فِعْلٌ فُعِلْ وإذا كان الوحي مـــتجددا في كل حادثة كان أقوى للغلبة وأشد عناية بالمرسل إليه ويستلزم ذلـــك كـــثرة نزول المَلَك إليه فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ولذلـــك كـــان أجود ما يكون في شهر رمضان لكثرة لقائه جبريل عليه الســـلام. ففي الحديث الشريف أنه صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس

---

(١) أول سورة العلق

(٢) سورة الحشر (٢١)

وكـــان أجـــود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام فيدارسه القرآن الكريم، فرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود من الريح المرسلة كذا في الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما وخـــرجه الأمام أحمد بزيادة في آخره وهي (لا يسأل عن شئ ألا أعطاه).

قـــال ابن رجب وفى الجامع الصغير: كان صلى الله علية وسلم (إذا دخل شـــهر رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل). وقال ابن رجب أيضاً: وإنما كان أجود الناس لأن الله تعالى جبله صلى الله علية وسلم على أكمل الأخلاق وأشرفها، كما في حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله علـــيه وسلم انه قال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. وذكره الأمام مـــالك في الموطأ مرسلا، واخرج ابن عدى بإسناد فيه ضعف من حديث انس مرفوعا ألا أخبركم بالأجود؟ الأجود الله وأنا أجود بنى آدم وأجودهم من بعدي رجل عَلِمَ عِلْماً فنشر عِلمَه يبعث يوم القيامة أمة واحدة، ورجل جـــاد بنفســـه في سبيل الله تعالى. فدل هذا على أنه صلى الله عليه وسلم أجـــود بـــنى آدم عـــلى الإطلاق ، كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكمـــلهم في الأوصاف الحميدة، وكان جوده صلى الله عليه وسلم بجميع أنـــواع الجـــود مـــن بذل العلم والمال وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده، وإيصال النفع العميم بكل طريق من إطعام جائعهم، ووعظ جاهـــلهم، وقضـــاء حوائجهـــم، وتحمـــل أثقالهم، وخص الليل بالإنزال كالإسراء لما قيل أنه أفضل من النهار فإنه عيد الملائكة، لأن لهم لَيلَتي عيد

كمـــا أن لـــنا يَومَــيْ عيد ليلة القدر وليلة النصف من شعبان، وهذا محل الخلوة، وحصول التجلي، وصفاء القلوب والتلذذ بمناجاة المحبوب، كما قيل:

وقم في الدجا فالليل ميقات من يرد ∴ وصال محب فاغتنم فيه وصلنا

والعـــبادة فيه أبعد عن الرياء والسمعة المحبطين للعمل، فإن الأعمال صور وأرواحهـــا سر وجود الإخلاص حتى لا يقول الله عز وجل لك: أنا أغنى الشريكين (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)[1]. ونقل عن الأمام ابن حجر أن الليل قاصر على أهل الأرض للـــراحة، وليست في السماء وقوله: (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ)[2] كناية عن الدوام.

والقَـــدْر- بسكون الدال ويجوز فتحها- : العظمة، يقال قدرت فلان: أي عظمته. ويقال لفلان عند الأمير قدر: أي جاه ومترله. قال الله تعالى:" وَمَا قَـــدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ " [3]: أي ما عظموه حق عظمته حيث أشركوا به غـــيره فســـميت تلك الليلة بذلك لشرفها وعظمها على سائر الليالي على خلاف في البعض كالإسراء ولذا العمل الصالح يكون فيها ذا قدر وحسبك أنها ليلة جليلة يكشف فيها عن الملكوت قال بعضهم:

ليلة القدر فاق قدرها ∴ وفضل الليل على النهار بها

---

(١) آخر سورة الكهف

(٢) سورة الأنبياء (٢٠)

(٣) سورة الأنعام (٩١)

ويتجـــلى فيها من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، ويسلم فيها عن عـــلى عباده الأبرار ؛ والناس يتفاوتون في هذا الكشف ، فمنهم من يرى نـــوراً عـــلى صـــورة البرق الخاطف ، ومنهم من يكشف له الحجب عن الســـماوات العلى ، فيشاهد فيها الملائكة على صورهم ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد وحامد وشاكر وذاكر ويشاهد الجنة وحورها ، وقصورها وأنهارهـــا وأشـــجارها وثمارها بل ويشاهد عرش الرحمن الذي هو سقف الجـــنة، ويشاهد منازل الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين والصديقين وتكشف له الحجب عن تخوم الأرض فيشاهد الجن والشياطين ويرى إبليس الملعون ومعه أعوانه وعرشه فيدهش مما يرى ، ويكشف له عن عالم جنسه فـــيرى الخلق والناس على ما هم عليه من الطاعات والمخالفات، وقد أتفق لـــبعض الأولياء أنه كشف له عن مثل هذا فرأى من يعتقد منه الخير على غير طريق ، فسأل الله تعالى أن يكشف له به عما سواه وأن يحجبه عن مثل هـــذا الكشـــف لأن حالـــه ناقصة لا يرضى بها إلا ناقص الهمة . ولله در القائل:

معيب على الإنسان ينسى عيوبه ∴ ويذكر عيباً في أخيه قد اختفا

فلو كان ذا عقل لَمَا عَابَ غيره ∴ وفيه عيوب لو رآها بها اكتفا

ومـــنهم من يكشف له الحجب عن جمال جلال الله عز وجل، فلا يرى إلا الله، وهو غير بعيد على من اصطفاه .

وقيل:المراد بالقدر : التقدير أي الحكم والقضاء، فسميت بذلك لأن الأمور تقضـــى فـــيها، أي تكتـــب الملائكة ما يكون في تلك السنة من الموت،

والرزق، وسائر حوادث العالم ، وتسلم الصحف إلى مدبرات الأمور، فهي لـــيلة تقدير الأمور على معنى إظهار تلك الشئون في دواوين الملأ الأعلى، ومواكـــبهم وإلا فـــالله عز وجل قد قضى الأمور كلها أزلا، فهي شئون يـــبديها ولا يبـــتديها، يرفع أقواما ويضع آخرين، وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى: (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) [1] ويوضح ذلك أنه قيل للحسن بن فضيل : ألـــيس قد قدر الله تعالى المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال : نعـــم . قـــيل: فما معنى ليلة القدر؟ قال: ليلة سوق المقادير إلى المواقيت، وتنفـــيذ القضـــاء المقدر، بمعنى أن الله تعالى يظهر ما يحدثه في تلك السنة لملائكته في تلك الليلة ، ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم، وليس المراد أن يعـــلمه ويقـــدره الآن لأن علمه تعالى بالكليات والجزئيات قديم، وتقديره كذلك.

وقـــيل : القـــدر: أي الضيق كقوله تعالى(فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ)[2] وقوله تعـــالى: (فَقَـــدَرَ عَلَـــيْهِ رِزْقَهُ)[3]. إذ هي ليلة يضيق فيها القضايا بازدحام الملائكـــة جدا إذ هم أكثر من عدد الحصى، وأن الملائكة جواهر نورانية، لطـــيفة تتشـــكل وتـــتداخل إذ لا مانع من أنهم يتشكلون في مواكبها بلا تداخـــل إظهـــاراً لمزية شرفها أو يدعى ضيق القضاء حتى مع التداخل أما حقـــيقة أو مبالغة والله تعالى أعلم ، وإذا وقف القارئ على القدر فالأرجح

---

(١) سورة الرحمن (٢٩)

(٢) سورة الأنبياء (٨٧)

(٣) سورة الفجر (١٦)

التفخـــيم لزوال علة الترقيق أعني الكسر. ولقد أخفى الله تعالى هذه الليلة الشريفة كما أخفى سائر الأشياء ، فأنه عز وجل أخفى رضاه في الطاعات حـــتى يرغبوا في الكل ، وأخفى وقت الموت ليخاف المكلف وأخفى قبول الـــتوبة ليواظـــب المُكَلَّفْ على جميع أقسام التوبة وأخفى الصلاة الوسطى لـــيحافظوا عـــلى الكـــل، وأخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكل، وأخفى وليه في ما بين الناس حتى يعظموا الكل، وأخفى الإجابة في الدعاء ليـــبالغوا في كـــل الدعوات، وأخفى الاسم الأعظم ليعظموا كل الأسماء وغيرهـــا كـــثير من الأشياء التي أخفاها الله عز وجل عن عباده ليحافظوا ويداومـــوا عـــلى الكـــل فكذا أخفى ليلة القدر ليعظموا جميع ليالي شهر رمضـــان. لو عين الله سبحانه وتعالى ليلة القدر وهو العالم بتجاسر العباد عـــلى المعصية فربما دعت الشهوة العبد في تلك الليلة إلى المعصية فوقع في الذنب فكانت معصيته مع علمه أشد من معصيته لا مع علمه فلهذا السبب أخفـــى الله على الإنسان ليلة القدر. روى أنه عليه الصلاة والسلام دخل المســـجد يوما فرأى نائما فقال: (يا عليّ نبهْه ليتوضأ) فأيقظه عليّ، ثم قال عليّ : يا رسول الله إنك سباق إلى الخيرات، فلِمَ لَمْ تُنَبهُهُ ؟ قال صلى الله علـــيه وسلم: (لأن ردَّه عليك ليس بكفر، ففعلت ذلك لتخف جنايتُه لو أبى)[1] فـــإذا كان هذا رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم فما بالك برحمة الله ســـبحانه وتعالى، فكأنه تعالى يقول: إذا علمت ليلة القدر فان أطعت فـــيها اكتسبت ثواب ألف شهر، وإذا عصيت فيها اكتسبت عقاب ألف

---

(١) أنظر تفسير مفاتيح الغيب للأمام فخر الدين الرازي جـــ١٦ صـــ٣٢٥ طبعة دار الغد العربي

شـــهر، ودفـــع العقاب أولى من جلب الثواب. وأخفى الله ليلة القدر عن خلقه حتى يجتهد المكلف في طلبها، فيكتسب ثواب الاجتهاد، والعبد إذا لم يتـــيقن لـــيلة القدر فانه يجتهد في الطاعة في جميع ليالي شهر رمضان على رجـــاء انـــه ربمـــا كانت هذه الليلة هي ليلة القدر، فيباهي الله تعالى بهم ملائكـــته، ويقول: كنتم تقولون فيهم يفسدون ويسفكون الدماء . فهذا جـــده واجتهاده في الليلة المظنونة، فكيف لو جعلتها معلومة؟ فحينئذ يظهر سر قولة تعالى: (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)[1]. واختلفوا في أن هذه الليلة هل تســـتتبع الـــيوم؟ قال الشعبي: نعم يومها كليلتها، ولعل الوجه فيه أن ذكر اللـــيالي يســـتتبع الأيام، ومنه إذا نذر اعتكاف ليلتين ألزمناه بيوميهما قال تعـــالى: (وَهُـــوَ الَّـــذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً)[2] أي الليل يخلف يومه وبالضـــد. هـــل هذه الليلة باقية؟ قال الخليل: من قال أن فضلها لنـــزول القرآن الكريم فيها يقول انقطعت وكانت مَرَّةً واحدة ، والجمهور على أنها باقية وعلى هذا هل هي مختصة برمضان أم لا؟ روى ابن مسعود رضي الله عـــنه أنه قال: من يقم الحول يصبْهَا. وفسرها عكرمة بليلة البراءة في قوله تعـــالى: (إِنَّـــا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ)[3]. والجمهور على أنها مختصة بشهر رمضـــان واحتجوا عليه بقوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) وقـــال : (إِنَّـــا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) فوجب أن تكون ليلة القدر في شهر

---

(١) سورة البقرة (٣٠)

(٢) سورة الفرقان (٦٢)

(٣) سورة الدخان(٣)

رمضـــان لئلا يلزم التناقض وعلى هذا القول اختلفوا في تعيينها على ثمانية أقوال. فقال ابن رزين: ليلة القدر هي الليلة الأولى من شهر رمضان وقال الحســـن البصري: السابعة عشرة، وعن أنس مرفوعا: التاسعة عشرة، وقال محمد بن إسحاق: الحادية والعشرون، وعن ابن عباس : الثالثة والعشرون ، وقـــال ابـــن مسعود : الرابعة والعشرون ،وقال أبو ذر الغفاري : الخامسة والعشرون ، وقال أبي بن كعب وجماعة من الصحابة : السابعة والعشرون ، وقال بعضهم : التاسعة والعشرون . أما الذين قالوا أنها الليلة الأولى فقد قـــالوا : روى وهـــب أن صحف إبراهيم أنزلت في الليلة الأولى من شهر رمضـــان والتوراة لست ليال مضين من شهر رمضان بعد صحف إبراهيم بســبعمائة ســنه، وأنزل الزبور على داود لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد التوارة بخمسمائة عام، وأنزل الإنجيل على عيسى لثمان عشرة خلـــت مـــن شهر رمضان بعد الزبور بستمائة عام وعشرين عاماً. وكان القرآن الكريم ينـــزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كل ليلة قدر من السنة إلى السنة. كان جبريل عليه السلام ينـــزل به من بيت العزة من الســـماء الســـابعة إلى سماء الدنيا فأنزل الله تعالى القرآن الكريم في عشرين شهرا في عشرين سنه فلما كان هذا الشهر الذي حصلت فيه هذه الخيرات العظيمة، لا جرم كان في غاية الشرف والقدر والرتبة فكانت الليلة الأولى منه ليلة القدر. وأما الحسن البصري فأنه قال: هي ليلة سبعة عشر لأنها ليلة كانت صبيحتها وقعة بدر.وأما ليلة الواحد والعشرين فقد مال الشافعي إليه لحديث الماء والطين، ونص الحديث كما جاء في فتح الباري بشرح صحيح

البخاري عن أبي سلمه قال: سألت أبا سعيد – وكان لي صديقا – فقال: (اعتكفـــنا مع النبي صلى الله عليه وسلم العشر الأوسط من شهر رمضان، فخرج صبيحة عشرين فخطبنا وقال: إني أُريتُ ليلة القدر ثم أُنسيتُهَا – أو نَسيتُها – فالتمسوها في العشر الأواخر في الوتر، وإني رأيت أني أسجد في مـــاء وطين، فمن كان اعتكف معي فليرجع. فرجعنا، وما نرى في السماء قزعة، فجاءت سحابة فمطرت حتى سال سقف المسجد، وكان من جريد النخل، وأقمت الصلاة، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد في المـــاء والطين، حتى رأيت أثر الطين في جبهته)[1]. وجاء نص الحديث في صـــحيح مسلم بشرح النووي، عن أبي سلمه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية على سدتها حصير قال : فـــأخذ الحصير بيده فنحاها في ناحية القبة ثم أطلع رأسه فكلم الناس فدنوا منه فقال :إني اعتكفت العشر الأول التمس هذه الليلة، ثم اعتكفت العشر الأوســـط، ثم أُتيـــتُ فقيل لي أنها في العشر الأواخر فمن أحب منكم أن يعـــتكف فليعتكف، فاعتكف الناس قال وإني أُريتُهَا ليلة وتر، وإني أسجد صـــبيحتها في طـــين وماء ، فأصبح من ليلة إحدى وعشرين وقد قام إلى الصـــبح، فمطـــرت السماء، فوكف المسجد فأبصرت الطين والماء فخرج حين فرغ من صلاة الصبح وجبينه وروثة أنفه فيهما الطين والماء وإذا هي

---

(١) أنظـــر فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني جـــ٤ صـــ٢٥٦ دار المعرفة بيروت

ليلة إحدى وعشرين من العشر الأواخر). حديث آخر. عن أبي سلمة قال: تذاكرنا ليلة القدر فأتيت أبا سعيد الخدري رضى الله عنه، وكان لي صديقا فقلت: ألا تخرج بنا إلى النخل، فخرج وعليه خميصة، فقلت له: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ليلة القدر، فقال: نعم اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الوسطى من رمضان، فخرجنا صبيحة عشرين، فخطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (إن أُريتُ ليلة القدر، وإني نُسِّيتُها أو أُنسيتُها فالتمسوها في العشر الأواخر من كل وتر، وإني أُريتُ أني أسجد في ماء وطين فمن كان اعتكف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرجع ؛ قال: فرجعنا وما نرى في السماء قزعة، قال: وجاءت سحابة فَمُطرنا حتى سال سقف المسجد، وكان من جريد النخل، وأقيمت الصلاة، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد في الماء والطين، قال: حتى رأيت أثر الطين في جبهته — وفى راوية رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف وعلى جبهته وأرنبته اثر الطين[1].والذي عليه المعظم أنها ليلة السابع والعشرين، وذكروا فيه إمارات أحدها: حديث ابن عباس أن سورة القدر ثلاثون كلمة وقوله تعالى: (هي) هي السابعة والعشرون منها فيدل على أنها ليلة السابع والعشرين لأن الضمير يدل عليها، ثانيها: روى أن عمر سأل الصحابة ثم قال لابن عباس: غص يا غواص، فقال زيد بن ثابت: أحضرت أولاد المهاجرين وما أحضرت أولادنا. فقال عمر: لعلك تقول : إن هذا غلام، ولكن عنده ما

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ح ٨ ص٦١- ٦٣ الدار الثقافية العربية ببروت

لـيس عـندكم فقال ابن عباس: أحب الأعداد إلى الله تعالى الوتر وأحب الوتـر إلـيه السبعة، فذكر السماوات السبع والأرضين السبع والأسبوع ودركـات النار وعدد الطواف، والأعضاء السبعة، فدل على أنها السابعة والعشرين وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضى الله عـنه جلس في رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين رضى الله عنهم أجمعين فذكروا ليلة القدر، فتكلم منهم من سمع فيها بشيء، وتراجعوا الكلام فيما بينهم؛ فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: مالك يا ابن عباس صامت لا تتكلم فلا تمنعك الحداثة، فقلت: يا أمير المؤمنين أن الله عز وجل وتر يحب الوتر فجعل أيام الدنيا تدور على سبع، وخلـق الإنسـان على سبع، وخلق فوقنا سبع سموات، وخلق تحتنا سبع أرضـين، وأعطانا من الليالي سبعا، ونهى في كتابه العزيز في نكاح الأقربين عن سبع ويقع السجود من أجسادنا على سبع، وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة سبعاً ، وبين الصفا والمروة سبعاً ، ورمى الحجار بسبع، فأراها في السبع الأواخر من رمضان قال: فتعجب عمر بن الخطاب رضي الله عـنه وقال :ما وافقني فيها أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذا الغلام – وفى لفظ آخر من رواية أخرى (أن عمر رضى الله عنه قال لـه: مالك لا تتكلم يا ابن عباس ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين إن شئت تكلمت، قال: ما دعوتك إلا لتتكلم. قال : فقلت: إنما أقول برأيي ، قال: عـن ذلك أسألك ، قال: قلت: فأني سمعت الله عز وجل أكثر ذكر السبع حتى قال: وما أنبتت الأرض سبعا وتلا قوله تعالى (أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا{٢٥}

ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا {٢٦} فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا {٢٧} وَعِنَبًا وَقَضْبًا{٢٨}وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا {٢٩} وَحَدَائِقَ غُلْبًا {٣٠} وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) فقال عمر رضى الله عنه: أعجزتم أن تقولوا مثل ما قال هذا الغلام الذي لم تجتمع شعور رأسه).[١]

وفى رواية من طريق سعيد بن جبير قال : كان ناس من المهاجرين وجدوا على عمر من أدنا به ابن عباس فجمعهم ثم سألهم عن ليلة القدر فاكثروا فيها فقال بعضهم: ليلة إحدى وعشرين ، وقال بعضهم: ليلة ثلاث وعشرين، وقال بعضهم: ليلة سبع وعشرين، وابن عباس ساكت، فقال عمر رضى الله عنه : تكلم ولا تمنعك الحداثة (أي: صغرك)، فقال: الله أعلم ، فقال عمر: قد نعلم أن الله أعلم، وإنا نسألك عن علمك، فقال: أن الله وتر يحب الوتر، وقد جعل الله أيام الدنيا تدور على سبع ، وقد خلق الإنسان من سبع لقوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفه في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقة مضغه فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين)[٢]، ويأكل من سبع لقوله تعالى : (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا [٣] وزيتونا ونخلا وحدائق[٤] غلبا[٥]

---

(١) أنظر مدارك المرام في مسالك الصيام للحافظ قطب الدين القسطلاني هدية الأزهر رمضان سنه ١٤١٣ ص١٠٨،١٠٧

(٢) سورة المؤمنين ١٢-١٤

(٣) وقضباً :أي تبنا للعلف

(٤) وحدائق : بساتين

(٥) غلبا: أي عظاما (جمع عظيمة) لكثرة أشجارها

وفاكهـــه [1] وآبا[2] [3]- ، ويسجد على سبع، والمحرم من نكاح الأقربين ســـبع، والمـــرمى مـــن الجمار سبع، وجعل فوقنا سبع سموات،وتحتنا سبع أراضـــي، وذكر أشياء، ثم قال : وأظن والله أعلم أنها الليلة السابعة من العشـــر الأواخر من رمضان . فقال عمر : لقد فطنت لأمر ما فطنا له قبل هـــذا ؛ يا قوم من كان يروى فليرو هذا كما رواه ابن عباس.[1] ثالثها : نقل أيضا عن أبن عباس ، أنه قال: (ليلة القدر) تسعة أحرف، وهو مذكور ثـــلاث مرات فتكون بضرب الثلاثة في التسعة فينتج سبعة وعشرين وهى ليلة القدر رابعها: إنه كان لعثمان بن أبي العاص غلام، فقال: يا مولاي أن البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر، قال : إن كانت تلك الليلة فأعلمني، فإذا هـــي السابعة والعشرين من شهر رمضان. وأما من قال: إنها الليلة الأخيرة قال: لأنها هي الليلة التي تتم فيها طاعات هذا الشهر، بل أول شهر رمضان كـــآدم وآخـــره كمحمد، ولذلك روى في الحديث: يعتق في آخر شهر رمضـــان بعدد ما أعتق من أول الشهر، بل الليلة الأولى كمن ولد له ذكر، فهـــي لـــيلة شكر، والأخير ليلة الفراق، كمن مات له فهي ليلة صبر و قد علمـــت فرق ما بين الصبر و الشكر.[2] وقد اختلفت في ليلة القدر. فقيل: أنهـــا رُفِعَـــتْ ونقـــل ذلك عن أبي حنيفة رضى الله عنه تمسكا بما ورد في

---

(١) فاكهه : أي ثمارا طيبة غير ما تقدم

(٢) وأبا : أي مرعا للدواب أو يابس الفواكه

(٣) سورة عبس ٢٧-٣١

(٤) انظر فضل ليلة القدر للشيخ موسى بن سعد صـــ٣٠،٢٩

(٥) أنظر تفسير مفاتيح الغيب للأمام فخر الدين الرازي حـــ١٦ صـــ٥٣٢ وما بعدها

الحديــث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه البخاري من حديث عباده بن الصامت رضى الله عنه ولفظه (عن عباده بن الصامت قــال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان مــن المســلمين فقال: خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرُفعَــت، وعســى أن يكــون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة) وقوله صلى الله عليه وسلم- فتلاحى رجلان- أي وقعت بينهما ملاحــاة وهــى المخاصمة والمنازعة والمشاتمة قلت: المرفوع إنما هو تعيين زمــنها لا تعيين وجودها لقوله صلى الله عليه وسلم: (التمسوها في العشر الأواخــر). وقــيل: بل كانت ثابتة في عصره صلى الله عليه وسلم بشهر رمضــان معين ثم رفعت بعد ذلك . وقيل: أنها تنتقل فتكون في غير شهر رمضان على حساب السنة الشمسية فتكون فيها لا في القمرية وتكون في لــيلة معينه. وقيل : أنها تدور فلا تكون في ليلة معينه وتكون في غير شهر رمضان أيضا . وقيل : ليلة مخصوصة بشهر رمضان معينه فيه تنتقل في لياليه الشفع والوتر منه. وقيل : بل تنتقل في أوتاره. وقيل: بل هي ليلة معينة في لــيال أوتاره وقوله تعالى: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) أي العمل فيها يعدل عمل ألف شهر في زمن ليس فيه ليلة القدر. روى أن النبي صلى الله عليه وسلم شكى إلى ربه عز وجل وعبادته في تلك المدة فأنــزل الله تعالى علــيه وعلى أمته هذه الليلة أي العمل فيها لأمتك بالطاعة يعدل عمل ألف شــهر مــن الأمم الماضية لتفويتهم شرف هذه الليلة المنــزلة عليك وعلى أمتك فَسُرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذلك – وروى مالك في الموطأ

أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُرِيَ أعمـــار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته إن لا يـــبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم من طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر عن مسلمة بن على عن على بن عروة قال: (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أربعة من بنى إسرائيل عبدوا الله ثمانين عامـــا لم يعصـــوه طرفة عين فعجب الصحابة من ذلك، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: قد أنزل الله عليك خيرا من ذلك ليلة القدر خير من ألـــف شهر هذا أفضل من ذاك فَسُرَّ بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والـــناس معـــه. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق عن مجـــاهد إن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى إسرائيل كان يقوم اللـــيل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي فعل ذلك ألف شهر فعجـــب المسلمون من ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْـــفِ شَهْرٍ) قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل ألف شهر [1]. ولما كان العمل فيها بهذه المثابة اختلف في تعيينها طمعا في تحصيل أجورها عن عبد الله بن أنيس قال: قلت يا رسول الله إن لي بادية أكون فيها وأنا أصلى فـــيها بحمـــد الله فمـــرني بليلة أنزلها إلى هذا المسجد، فقال صلى الله عليه وســـلم:انزل ليلة ثلاث وعشرين. قيل لابنه:كيف كان يصنع؟ قال:كان يدخل المسجد إذا صلى العصر فلا يخرج إلا لحاجة حتى يصلى الصبح، فإذا

---

(١) انظـــر مدارك المرام في مسالك الصيام للحافظ قطب الدين القسطلاني هدية مجلة الأزهر عدد شهر رمضان سنة ١٤١٣هـــ ص١٠٣

صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق بباديته. قال أبو عمر : يقال أن ليلة الجهني معروفة بالمدينة ليلة ثلاث وعشرين وحديثه هــذا مشهور عند عامتهم وخاصتهم[1] وروى ابن جريج هذا لعبد الله بن أنــيس، وقــال في آخره : فكان الجهني يمسي تلك الليلة (يعني ليلة ثلاث وعشرين) في المسجد فلا يخرج منه حتى يصبح ولا يشهد شيئا من رمضان قبلها ولا بعدها ولا يوم الفطر.

(١) المصدر السابق

الفصل الثالث

منزلة ليلة القدر

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ)

ما أعلمك يا محمد يا أشرف الخلق ما ليلة القدر: أي فضلها أي : أيُّ شئ يـــبلغ علمك غاية فضلها وينتهي علم قدرها، وهذا الاستفهام على سبيل التعظـــيم والتفخيم لها والتشويق إلى معرفة منـــزلتها وشرفها وخيرها لا ما حقيقـــتها، فإن حقيقتها مدة مخصوصة من الزمن وفى حقيقة الزمن خلاف مشهور حتى قيل : أنه من مواقف العقول ومزالق الفحول كالروح والمكان ونظائرهما (سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[1] قـــال ســـفيان بن عيينة: إن كل ما في القرآن الكريم من قوله (وَمَا أَدْرَاكَ) أعـــلم الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وما فيه من (وَمَا يُدْرِيكَ) لم يعـــلمه، ولما نقل البخاري ذلك في صحيحه عن سفيان تعقبه بعض شراحه بقوله تعالى في حق ابن أم مكتوم (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) [2]،(وَمَا يُدْرِيكَ لَعَـــلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا)[3] ونحوه، وقد قالوا لم يخرج الرسول صلى الله علـــيه وسلم من الدنيا حتى أعلمه الله تعالى بوقت الساعة وبكل ما أخفى عنه مما يمكن البشر علمه وأما التسوية بين علمه صلى الله عليه وسلم وعلم الله تعالى فكفر ومقصود ابن عيينة أنه كان صلى الله عليه وسلم يعلم تعيين لـــيلة القـــدر وليلة القدر باقية على الصحيح لم ترفع خلافاً لمن قال برفعها لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه البخاري عن عبادة بن

---

(١) سورة البقرة (٣٢)

(٢) سورة عبس (٣)

(٣) سورة الأحزاب (٦٣)

الصامت قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجـــلان من المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم : خرجت لأخبركم بليلة القـــدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة. وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: فرفعت ورد بـــأن الذي رفع تعيينها بدليل أن في آخر الحديث نفسه: (وعسى أن يكـــون خـــيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة) أي العشر الأواخر، إذ رفعها بالمرة لا خير فيه ولا يتأتى معه التماس فإن قلت الرفع بسبب الملاحاة يقتضي أنه من شؤم الملاحاة فكيف يكون خيرا ؟ قلت هو كالبلاء الحاصل بشؤم معصية بعض العصاة فإذا تلقى بالرضا والتسليم صار خـــيرا. أن قلـــت فمـــا هو الذي فات بشؤم الملاحاة وما هو الخير الذي حصـــل؟ قلـــت الفائت معرفة عينها حتى يحصل غاية الجد والاجتهاد في خصوصـــها ، والخير الذي حصل هو الحرص على التماسها حتى يحيى ليالي كـــثيرة في الجملـــة لهذا أخفى الله عز وجل أموراً كثيرة في أمور لحكم لا يعـــلمها إلا هو وتفسيرنا لها والله أعلم للمحافظة على الكل، وكما ذكرنا ســـابقا أخفـــى الله تعالى ليلة القدر عن عباده لعظمها وليعظم الناس جميع الســـنة على أحد الأقوال من أنها في سائر السنة، وجميع الشهر على القول الثاني من أنها في سائر أيام الشهر، وجميع العشر على القول الثالث من أنها في العشر الأخيرة من الشهر، وذلك بالاجتهاد في الطاعة ليفوز بها، وأخفى ســـاعة الإجابـــة في الجمعة ليدعو في جميعها، والصلاة الوسطى في الصلاة لـــيحافظ على الكل والاسم الأعظم في أسمائه ليحافظ على الدعاء بجميع

أسمائـــه الحسنى، ورضاه في الطاعة ليحرص العبد على جميع الطاعات طلباً لمرضاته، وغضبة في معصيته لينـــزجر عن الكل، والولي في المؤمنين ليحسن الظـــن بكل منهم، ومجيء الساعة في الأوقات للخوف منها دائما، واجل الإنســـان عنه ليكون دائما على أهبة واستعداد مستحضرا ما لابد منه كما قيل :

تهيأ للذي لا بـــد منـــه ∴ فإن الموت ميقات العباد .

أترضى أن تكون رفيق قوم ∴ لهم زاد وأنت بغير زاد .

وغـــير المذكـــور كـــثير من الأمور التي أخفاها الله عز وجل، وعلى هذا فحصـــول ثواب ليلة القدر الموعود به من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)[1]، وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال : دخل رمضـــان فقـــال رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم : (إن هذا الشهر قد حضـــركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم)[2]، وروى من حديث عباده بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليلة القدر في العشر البواقى من قامهن ابتغاء حسْبَتهن ، فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه قال: وأمارتها أنها صافيه ثلجه كأن فيها قمرا ساطعا ساكنة لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكـــب أن يرمى به فيها حتى يصبح، وأن أمارة الشمس في صبيحتها أن

---

(١) متفق عليه

(٢) رواه ابن ماجة

تخرج ليس فيها شعاع مثل القمر ليلة البدر، ولا يحل للشيطان في صبيحتها أن يخـــرج معهـــا يومئذ)[1] وعن الحسن البصري أنه قال: نظرت الشمس عشرين سنة فرأيتها تطلع صباح أربع وعشرين من رمضان بيضاء ليس لها شـــعاع، وســـأله رجل فقال : يا أبا سعيد أرأيت ليلة القدر في كل شهر رمضان هي؟ فقال : أي والذي لا إله إلا هو إنها لفي كل رمضان إنها ليلة فـــيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا فيها يقضى الله كل خلق وأجل ورزق وعمل.[2] فحصول ثواب ليلة القدر الموعود به لا يتوقف تحققه لمن قـــام فـــيها على العلم بها هذا هو الأظهر. نعم العالم بها أكمل ثواباً وعليه يحمـــل قول النووي في شرح مسلم لا ينال فضلها إلا من اطلعه الله عليها. قالوا : وليس لمن علم بها أن يكتمها إذ وجهه الاقتداء برسول الله صلى الله علـــيه وسلم حيث لم يعينها وقد قالوا أعلمه الله بكل ما أخفى عنه بل في الحديـــث تخلقـــوا بالأخلاق الله وهو مخصوص بما يمكن فلم يمنع منه مانع، وقـــيل: حكمـــه ذلك أنها كرامة لأنها أمر خارق للعادة خص الله به بعض عـــباده والكـــرامة ينبغي كتمها بل لا يجوز إظهارها إلا لحاجة أو لقصد صحيح، قال الخطيب في تفسيره: لو علق الرجل طلاق امرأته أو عتق عبده على ليلة القدر لا يقع ما لم تنقض سنة كاملة من حين حلفه، يروى ذلك عـــن أبي حنـــيفة ؛ والمالكية لا يوافقون على ذلك في الطلاق لأن قاعدة

---

(١) أنظـــر مدارك المرام في مسالك الصيام للحافظ قطب الدين القسطلاني هدية مجلة الأزهر شهر رمضان سنة ١٤١٣ والأحاديث الثلاثة مذكورة به صـــ١٠٢ ،١٠٨

(٢) أنظر المصدر السابق صـــ ١٠٨

مذهبهم تنجيز ما علق على مستقبل محقق الوقوع لئلا يكون كنكاح المتعة.
وفي تفسير الخطيب عن أبي الحسن الشاذلي من أراد أن يعرف ليلة القدر فلينظر إلى أول شهر رمضان فإن كان أوله يوم الأحد فهي ليلة تسع وعشرين أو يوم الاثنين فإحدى وعشرين ثم استعمل الترقي والتدلي في الأيام فالثلاثاء سبع وعشرين والأربعاء تسعة وعشرون والخميس خمس وعشرون والجمعة سبعة وعشرون والسبت ثلاث وعشرون، وقال: منذ بلغت سن الرجال ما فاتتني ليلة القدر بهذه القاعدة المذكورة وقد نظمها بعضهم فقال

يا سائلي عن ليلة القدر التي ∴ في عشر رمضان الأخير حلت.
فإنها في مفردات العشر ∴ تعرف من يوم ابتدا الشهر.
فبالأحد والأربعاء في التاسعة ∴ وجمعة مع الثلاث السابعة .
وإن بدا الخميس فهي الخامسة ∴ وإن بدأت بالسبت فلها الثالثة.
وإن بدا الاثنين فهي الحادي ∴ هذى عند الصوفية الزهاد.

وهذا ظاهره في أنها تنتقل في العشر الأواخر من شهر رمضان فقط وهو قول مالك واحمد وأبي ثور والنووي . وقيل: تدور في السنة فتكون في شهر رمضان وتكون في غيره وهو المشهور عن أبي حنيفة ، وقال صاحباه هي ليلة من رمضان لا تنتقل عنها أبدا ، وقال الشافعي هي منحصرة في العشر الأواخر منه وتلزم ليلة بعينها في الحديث (تحروا ليلة القدر في الوتر في العشر الأخير من شهر رمضان) وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الأول من شهر رمضان فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن

الـــذي تطلب أو تريد أمامك فاعتكف العشر الأوسط. فأتاه جبريل عليه السـلام فقال: أن الذي تطلب أو تريد أمامك فاعتكف العشر الأخير منه ولازمـه حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكافه أزواجه من بعده وكان صلى الله علـيه وسلم إذا دخل العشر الأخير من شهر رمضان شد مئزره وأحيا ليلة وأيقـظ أهله، والمئزر بكسر الميم وهمزة — هو الإزار والمراد اعتزل الناس كمـا جـزم به عبد الرزاق عن النووي قال ابن رجب: وهو الصحيح — ويحتمل أن شد المئزر حقيقة فلم يحله وتهيأ للعبادة وأقبل عليها بهجة ونشاط بدلـيل قول عائشة زوجة النبي رضى الله عنها وصلى الله عليه وسلم شد المئزر على جسده وأحيا ليله كله، وورد تفسيره بأنه لم يأو إلى فراشه حتى يسـلخ شهر رمضان، وفي حديث أنس : وطوى فراشه، واعتزل الناس ، وقد وقع في رواية شد مئزره واعتزل الناس قال المتولي: ويستحب التعبد في كـل ليالي العشر حتى يجوز الفضيلة على اليقين فظاهره أنه يحوز فضيلتها سـواء اطلع عليها أم لا وقول النووي في شرح مسلم : لا ينال فضلها إلا مـن أطلعه الله عليها محمول على أن الأكمل ذلك إذا أحياها كما تقدم. وإلا فلو رآها شخص من غير عباده كان الذي أحياها و لم يرها افضل منه فـإن العبرة إنما هي الاستقامة . وقد ورد لها علامات فقد سئل رسول الله صـلى الله عليه وسلم عن علامة ليلة القدر، فقال: هي ليلة مشرقة نيره لا حـارة ولا باردة ولا سحاب فيها ولا مطر ولا ريح ولا يرمى فيها بنجم وتطلع الشمس صبيحتها مثل الطشت كأنها فضة وحكمة ذلك أن الملائكة يكـثر نـزولها وصـعودها فيها فتنشر بأجنحتها وأجسامها اللطيفة ضوء

الشمس وشعاعها ليس لها شعاع حتى ترتفع أي مثل القمر ليلة البدر، وأن ليلتها بلجة سمحة لا حارة ولا باردة، وفي حديث آخر ليلة القدر ليلة مطر وريح ويجمع بين الروايتين بأنها تكون سنة لا مطر فيها ولا ريح وتكون سنة فيها مطر وريح سواء قلنا بانتقالها أم لا ومن علاماتها أن يرى الإنسان كل شيء ساجدا ومنها أن يرى الأنوار في كل مكان ساطعة حتى المواضع المظلمة ومنها أن يسمع كلام الملائكة وخطابهم ومنها استجابة الدعاء ومنها عدم نبح الكلام فيها ومنها أن الشمس لا تطلع يومها بين قرني شيطان، روى ابن أبي شيبة من حديث ابن مسعود: أن الشمس تطلع كل يوم بين قرني الشيطان إلا صبيحة ليلة القدر ومنها وجود القشعريرة ومنها وجود البكاء ومنها أن المياه الملحة تعذب تلك الليلة تم ترجع إلى ملوحتها إذ لو لم ترجع إلى الملوحة لم يبق مالح أصلاً فقد حكى عن زهرة بن سعد أنه قال : أصابني احتلام في بلاد العدو وأنا في الفجر ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان فذهبت اغتسل فسقطت في الماء فإذا الماء عذب فأذنت أصحابي وأعلمتهم أني في ماء عذب ومنها خفتها ووجود الراحة فيها، وأن ذلك كله يختلف باختلاف الناس فإنها سر من الأسرار الإلهية وأمر من خوارق العادات الغيبية وليس الناس فيها على السوية كما سبق الإشارة إليه من أنه قد تقع المشاهدة لأحد الجليسين دون الآخر والله يعطى ويمنع فيطلع من يشاء ويحجب من يشاء فسبحان من خص من شاء بما شاء ولا يسأل عما يفعل وهو اللطيف الخبير وهو الحكم العدل وهو على كل شئ قدير .

وفائدة معرفة صفتها بعد فوتها بعد طلوع الفجر أن يكون اجتهاده في

يومهـــا كاجتهاده في مثلها من السنين القابلة بناء على عدم انتقالها ويندب أن يكثر في ليلتها من اللهم أنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا فقد ورد في الحديـــث أن احسن ما يدعى به في تلك الليلة العفو والعافية فإن العافية المعافـــاة مـــن كل ما يكره في الدين والدنيا والآخرة فقد روى أن عائشة رضى الله عنها قالت للنبي الله صلى الله عليه وسلم: أرأيت أن وافيت ليلة القدر ما أقول فيها : قال صلى الله عليه وسلم: قولي اللهم أنك عفو كريم تحـــب العفـــو فاعف عنى وعن عائشة أيضا رضى الله عنها أنها قالت: لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله إلا العفو العافية .[1]

والعفو هو: التجاوز عن الذنب ومحو أثره. قال يحيى بن معاذ:

ولو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه .·. لم يبتل بالذنوب اكرم الناس عليه.

يشـــير إلى أنه ابتلى كثيرا من أوليائه وأصفيائه بشيء من الذنوب فعاملهم بـــالعفو الـــذي يحبه الله تعالى، وفى حديث ابن عباس مرفوعا أن الله تعالى يـــنظر ليلة القدر إلى المؤمنين من أمة محمد فيعفو عنهم ويرحمهم إلا أربعا، مدمن خمر: أي شاربه الذي لم يتب، وعاقا، ومشاحنا: أي مخاصما، وقاطع رحـــم.[2] ويتأكد طلبها والاجتهاد في إدراكها والإكثار في يومها وليلتها مـــن العـــبادة مع الإخلاص وصحة اليقين، وأقل ما يحصل به أحياؤها أن يصلى العشاء في جماعة ويعزم على صلاة الصبح كذلك، وفى الحديث: من قام ليلة القدر أيمانا: أي تصديقا بأنها حق، واحتسابا: أي يريد به وجه الله

---

(١) أنظر فضل ليلة القدر للشيخ موسى بن سعد ص ٢٧

(٢) أنظر المصدر السابق ص ٢٧

تعـــالى وحده غفر له ما تقدم من ذنبه. قال ابن حجر: والمراد من قيامها: أحـــياؤها بالتهجد فيها بالصلاة والدعاء. قال سفيان الثوري: الدعاء فيها احب إلى من الصلاة: أي وهو مجاب بعين ما سأل الإنسان، وإذا كان يقرأ فليدع ويرغب إلى الله تعالى في الدعاء والمسألة لعله يوافق. قيل مراده : أن كـــثرة الدعاء أفضل من صلاة لا يكثر فيها الدعاء، وأنه إذا قرأ ودعا كان حســـنا، فقـــد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهجد في ليالي شهر رمضـــان يقرأ قراءته مرتله لا يمر بآية رحمه إلا سأل الله ولا بآية عذاب إلا تعوذ فجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر وهذا أفضل الأعمال في لـــيالي العشـــر وغيرها. قال الأمام ابن حجر: وورد ما يدل على حصول الأحياء بدون قيام معظم الليل، ففي الحديث الشريف الذي رواه أنس: من صلى ليلة القدر العشاء والفجر في جماعة فقد أخذ من ليلة القدر بالنصيب الوافـــر، وورد: من صلى المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر، وورد : من صلى العشاء في جماعة فكأنما شطر الليل فإذا صلى الصـــبح في جماعـــة فكأنما قام شطره الآخر.[1] قال ابن حجر ومع ذلك المشـــهور أنـــه لا يحصـــل فضل قيامها إلا بإحياء معظم كل ليلة من ليالي العشر.[2] وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم: والـــذي بعثني بالحق نبيا لقد أخبرني جبريل عن إسرافيل عن رب العـــزة أنـــه قال: وعزتي وجلالي وجودي ومجدي وارتفاعي في مكاني من

---

(١) أنظر المصدر السابق ص ٢٨

(٢) أنظر المصدر السابق ص ٢٩

أحـــيا لـــيلة القدر من عبادي وإمائي غفرت له ذنوبه ولو كان مصرا على الكـــبائر.[1] وفي الحديث: والذي بعثني بالحق نبيا ورسولا أن جبريل قال : مـــن أحـــيا ليلة القدر قضى الله له ألف حاجة وإن كان قدر عليه الشقاوة حوله سعيدا ، وأشتهر توقف حصول فضل قيامها على أحياء معظم الليلة مـــن ليالي العشر لكن أقل ما يحصل به سنة الإحياء ما يشير له ما تقدم من أن من صلى المغرب والعشاء الخ ومن شق عليه القيام تخير من القرآن الكريم ما ورد فيه كثرة الثواب كآية الكرسي لما ورد أنها أفضل آية في القرآن ولما ورد مـــن قرأ ليلة القدر آية الكرسي كان احب إلى الله من أن يختم القرآن الكـــريم في غيرها من الليالي كالثلاث أو الاثنتين من آخر سورة البقرة فقد ورد مـــن قام بهما في ليلة القدر كفتاه وسورة الزلزلة ورد أنها بقدر نصف القـــرآن والإخلاص بقدر ثلث القرآن ويس ورد أنها قلب القرآن وأنها لما قـــرأت له وليكثر من الدعاء بما أحب لنفسه ولأحبابه الأحياء والأموات، وليحفظ جوارحه عن المعاصي واللهو واللعب وقبائح الشهوات فإنه إن لم يحفـــظ جوارحه عن ذلك تعرض لمقت الله وغضبة والعياذ بالله وهو مأمور بأن يتعرض لما يوجب الرضا – إن لربكم في دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لـــنفحات ربكـــم - وليكـــثر من الصدقات والندم والاستغفار والتحميد والتهلـــيل وأنواع الذكر والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم آناء الليل وأطراف النهار فإنها الواسطة العظمى والشرف الأسمى فقد قال صلى الله عليه وسلم: أقربكم من الجنة أكثركم عليَّ صلاة. و قال صلى الله عليه

---

(١) أنظر المصدر السابق ص٢٩

وسلم من سره أن يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة عليّ، وقال صـــلى الله علـــيه وسلم من أكثر من الصلاة علي في حياته أمر الله جميع مخلوقاتـــه أن يستغفروا له بعد مماته. وقال أيضاً: من تعسر عليه شئ فليكثر من الصلاة عليّ فإنها تحل العقد وتكشف الكرب[1]، وقال أيضاً: للمصلى عـــليّ نور على الصراط ومن كان على الصراط من أهل النور لم يكن من أهل النار. والأحاديث الواردة والآثار في فضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر أكثر من أن تذكر. وبالجملة فهي مفتاح كل فلاح، ونجاه الأرواح ، وشيخ من لا شيخ له، وسند من لا سند له، وهى من أفضل الأذكار ومعدن الأسرار . وورد في الصحيح : أنه من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه، وأن كانت مثل زبد البحر، وحديث ما يقال دبر كل صلاة مكتوبة اشتهر من أن يذكر، وفى الحديث القدسي: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبـــالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض ذنوبا لأتيتك بقرابها مغفرة ، وورد في الصحيح: أن من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير مائة مرة كانت له مثل عشر رقاب: أي كمـــن اعـــتق عشر رقاب. وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، و لم يأت أحد بأفضل ممـــا جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك، ومن قال عند فطره يا عظيم يا

---

(١) أنظر المصدر السابق ص ٣٠

عظـــيم يا عظيم أنت إلهي لا إله غيرك أغفر لي الذنب العظيم فإنه لا يغفر الذنـــب العظيم إلا العظيم خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وكذا ورد أن مـــن قـــال دعاء الإفطار المشهور تضاعف له بعدد أجر الصائمين الأجور. وهـــذا وأن كان مطلوبا في هذه الليلة وغيرها وفى شهر رمضان وغيره إلا أنـــه فيها يضاعف ثوابه فيتأكد طلبه. وورد أن من قال لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ثلاث مرات كـــان كمن أدرك ليلة القدر، وفى حديث آخر أيما عبد قال لا إله إلا الله الكريم الحكيم سبحان رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين حق على الله عـــز وجل أن يحرمه على النار[1]. فينبغي الإتيان بذلك كل ليلة. وهذا هو الأحياء الذي يغفر به ما تقدم من ذنبه لا أنواع اللهو واللعب نسأل الله التوفيق والقبول والرحمة بفضله عز وجل.

---

(١) أنظر المصدر السابق ص ٣٢

الفصل الرابع

خيرية ليلة القدر

(لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيرُ مِّنْ أَلفِ شَهرْ)

العمل الصالح في ليلة القدر أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة قدر، فسقط ما قيل أن هذه المدة لابد فيها من ليالي قدر فيلزم تفضيل الشيء على نفسه وغيره ولا مورد للسؤال من أصله إلا لو كان المراد ألف شهر من مدة هذه الأمة وليس بلازم إلا أن يكون هذا مراد المجيب أي التفضيل على مطلق العدد في ذاته والألف قيل المقصود منها مطلق الكثرة وهو كثير في لسان العرب، وقيل : المراد حقيقته والسبب يساعده، وقيل: المعنى خير من الدهر كله، قال تعالى: (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَة)[1] يعني : الدهر كله. وإنما كانت هذه الليلة خيرا مما ذكر لما احتوت عليه من قضية الملك الخلاق من تقدير الأرزاق، ومضاعفة ثواب الحسنات، وإجابة عين الدعوات، وكثرة النفحات، ومزيد الخيرات والبركات، وفتح أبواب السماوات، وإنزال الرحمات، إلى غير ذلك من أنواع التكرمات وإن تساوت حقائق الأزمنة والأمكنة، لكن يفضل الله تعالى ما شاء بما شاء، وقد أختلف في المفاضلة بينها وبين ليلة الإسراء، فإن هذه شرفت بنزول هذا الكلام، وليلة الإسراء رأى فيها المتكلم جل جلاله حتى قال بعضهم: ليلة الإسراء أفضل في حقه صلى الله عليه وسلم وليلة القدر أفضل في حق أمته، وكذا الخلاف بين الليلتين وبين ليلة مولده الشريف فإنه مبدأ كل فضل ومظهر كل تشريف . وقال بعض المحققين : وعلى تقدير تفضيل

---

(١) سورة البقرة (٩٦)

إحـــدى الليلتين على ليلة القدر ، فمعناه تفضيل خصوص تلك الليلة التي ولد فيها بعينها وخصوص تلك الليلة التي أسري فيها أما نظيرتهما من كل عـــام فليلة القدر أفضل ، فلا ثمرة في ذلك باعتبار الحرص على الأعمال ، وإنمـــا هو مجرد معرفة قدر واعتقاد لا حرج فيه إن شاء الله تعالى [1] وقال الخلـــيل بـــن أحمـــد : خيرية ليلة القدر من ألف شهر باعتبار العبادة عن الأكـــثرين على معنى أن العبادة فيها خير من العبادة ألف شهر ، ولا يعلم مقـــدار خيريتها منها إلا هو سبحانه وتعالى ، وهذا تفضل منه تعالى ، وله عز وجل أن يخص ما شاء بما شاء ، وَرُبَّ عمل قليل خير من عمل كثير ، ولا ينافي هذا قاعدة أن كل ما كثر وشق كان أفضل .لخبر مسلم أنه صلى الله علـــيه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها : " أجرك على قدر نصبك " لأنهـــا أغلبـــية على ما قال غير واحد ولا شك أن العمل القليل قد يفضل الكـــثير باعتبار الزمان وباعتبار المكان وباعتبار كيفية الأداء كصلاة واحدة أديـــت بجماعـــة فإنهـــا تعدل خمساً وعشرين مرة صلاة مثلها أديت على الانفـــراد إلى غير ذلك ، نعم هذه الأفضلية قد تعقل في بعض وقد لا كما فيما نحن فيه ولا حجر على الله عز وجل: ولا يعلم ما عنده سبحانه إلا هو جـــل شأنه وتخصيص الألف بالذكر قيل: إما للتكثير كما في قوله تعالى : (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ) وكثيراً ما يراد بالأعداد ذلك ، وفي البحر حكايـــة : أن المعنى عليه خير من الدهر كله ، أو لما أخرج ابن المنذر وابن أبي حـــاتم والبيهقي في سننه عن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر

---

(١) انظر تفسير الألوسي جـــ ١٨ صـــ ٦٠٨ مطبعة دار الغد

رجـــلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله تعالى ألف شهر فعجب المســـلمون مـــن ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأنزل الله تعالى السورة ، وقيل: أن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شـــهر فـــأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العـــباد ، قـــال أبو بكر الوراق : كان ملك كل من سليمان وذي القرنين خمســـمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيرا من ملكهمـــا وفى هذا نظر لأنه إن أريد بذي القرنين الأول فهو على القول به قـــد ملك أكثر من ذلك بكثير، وإن أريد به الثاني أعنى قاتل داراً فهو قد ملك أقل من ذلك بكثير. وقيل أُرِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار الأمـــم كافة فأستقصر أعمار أمته فخاف عليه الصلاة والسلام أن لا يبلغوا مـــن العمـــل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعـــلها خيرا من ألف شهر لسائر الأمم، وذكره الأمام مالك في الموطأ: وقد سمعت ما يدل على أن الألف إشارة إلى ملك بنى أمية. وكان على ما قـــال القاسم بن الفضل ألف شهر لا يزيد يوم ولا ينقص يوم على ما قيل ثمانين سنة وهى ألف شهر تقريباً لأنها ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر ، ولا يعكـــر على ذلك ملكهم في جزيرة الأندلس بعد لأنه ملك يسير في بعض أطـــراف الأرض وآخر عمارة العرب ولذا لم يعد من ملك منهم هناك من خلفائهم وقالوا بانقراضهم بهلاك مروان الحمار. وأختلف في أن تلك الليلة تستتبع يومها أم لا. فقال الشعبي نعم يومها مثلها، وقيل: لعل الوجه فيه أن ذكـــر الليالي يستتبع الأيام، ومعه إذا نذر اعتكاف ليلتين ألزمناه بيوميهما

والكـــثير لا، لكن قيل يسن الاجتهاد في يومها كما يسن فيها ، ولذا جاء في وصـــفها أن الشـــمس تطلع صبيحتها وليس لها شعاع: أي لعظم أنوار الملائكـــة الصاعدين والنازلين فيها فإنه لا فائدة فيه سوى معرفة يومها ولا فائدة فيها لو لم يسن الاجتهاد فيه ومنع بأنه يجوز أن تكون الفائدة معرفتها نفسها ليجتهد فيها من قابل بناء على أنها لا تنتقل، وظاهرة الآية أنها أفضل من ليلة الجمعة واكثر الأئمة على أنها أفضل منها للآية ولان الله تعالى أنزل فـــيها القرآن وهو هو، ولم ينـــزله في غيرها، ولأنه عز وجل أمر بطلبها، فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال في قوله تعالى (وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ)[1] ليلة القدر ولأنه عز وجل جعلها ليلة الفرق والحكم فقال عز وجل (فِـــيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ)[2] وسماها جل وعلا ليلة القدر: أي التقدير، ولما روى عن كعب أنه قال: أن الله تعالى أختار الساعات فأختار ساعات أوقـــات الصلاة، وأختار الأيام فاختار يوم الجمعة، واختار الشهور فاختار شـــهر رمضان، واختار الليالي فاختار ليلة القدر، فهي أفضل ليلة في أفضل شـــهر ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم حث على العمل فيها فقد صح : مـــن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، وفى رواية : ومـــا تأخر. ونهى عليه الصلاة والسلام:أن يخص ليلة الجمعة بقيام ويومها بصـــيام ولأنه سبحانه وتعالى أخفاها ولم يعينها كما أخفى سبحانه وتعالى أعظـــم أسمائه عز وجل إلى غير ذلك من الأشياء التي أخفاها الله عز وجل

---

(١) سورة البقرة (١٨٧)

(٢) سورة الدخان (٤)

وذلـــك لـــلمحافظة والاهتمام بالكل — وذهب أكثر الحنابلة إلى أن ليلة الجمعـــة أفضـــل لما قاله ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يغفر الله تعالى ليلة الجمعة لأهل الإسلام أجمعين وهذه فضيلة لم تجئ لغيرهـــا ونحوه ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من ليلة جمعة إلا وينظر الله تعالى إلى خلقه ثلاث مرات فيغفر لمن لا يشرك بالله تعالى شيئا . وروى عن عمر رضى الله تعالى عـــنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أكثروا الصلاة عليّ في الليلة الغـــراء واليوم الأزهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة، والعزة من الشيء خياره. وروى كثير منهم الإمام أحمد أن يومها سيد الأيام وأعظمها ، وأعظم عند الله تعالى من يوم الفطر، ويوم الأضحى، وصحح ابن حبان خبر : لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة فهي لذلك سيدة الليالي وأعظمهـــا وأفضلها ولأنها معينه مشهودة يشهدها الخاص والعام من ذكر وأنـــثى صغير وكبير وبصير وضرير وتصل بركتها إلى الأحياء والأموات. ولـــيلة القدر غير معينة فلا ينتفع بها إلا قليل إلى غير ذلك، وأجاب هؤلاء عن الآية بأنه لما أريد فيها أنها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر كما قـــال بذلـــك قتاده وغيره فليرو أيضاً أنها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة جمعـــة ويدل للأمرين أن أكثر أسباب النزول السابقة تدل على أن المراد بالشـــهور شهور من تقدمنا، وهى ليس فيها ليلة قدر ولا ليلة جمعة وعن سائر المستندات بأن بعضها معارض وبعضها لا يدل على أكثر من فضلها وهـــو ما لم ينكره أحد. حكى القاضي أبو يعلى أن أبا الحسن التميمي من

الحـــنابلة كان يقول: ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن الكريم أفضل من ليلة الجمعة لما حصل فيها من الخير الكثير الذي لم يحصل في غيرها، فأما أمثالها من ليالي القدر فليلة الجمعة أفضل منها وقيل: نظيره في ليلة المعراج من ليلة الجمعـــة ونحوها ثم أن ظاهر كلام بعض الحنفية كصاحب الجوهرة أن ليلة الـــنحر أفضل من ليلة القدر وسائر ليالي السنة ويرد عليه ظاهر الآية. وعن بعـــض الشـــافعية أن أفضل الليالي ليلة مولده عليه الصلاة والسلام ثم ليلة القدر ثم ليلة الإسراء والمعراج ثم ليلة عرفة ثم ليلة الجمعة ثم ليلة النصف من شـــعبان ثم ليلة العيد وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أن الله تعالى وهب لأمتي ليلة القدر و لم يعطها من كان قبلهم.[1] وجاء في تفسير القرطبي: قال بن مسعود: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني إســـرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك؛ فنـــزلـــت (إِنَّـــا أَنزَلْنَاهُ) الآية (خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) التي لبس فيها الرجل ســـلاحه في ســـبيل الله. ونحوه عن ابن عباس وعن هب بن منبه: أن ذلك الـــرجل كان مسلما، وأن أمه جعلته نذراً لله، وكان من قرية قوم يعبدون الأصـــنام ، وكـــان سكن قريبا منها، فجعل يغزوهم وحده ويقتل ويسبي ويجاهد، وكان لا يلقاهم إلا بلحيي بعير، وكان إذا قاتلهم وقاتلوه وعطش انفجـــر له مـــن اللحيين ماء عذب فيشرب منه، وكان قد أعطى قوة في الـــبطش لا يوجعـــه حديـــد ولا غيره وكان اسمه شمسون. وقال كعب الأحبار: كان رجلا ملكا في بني إسرائيل فعل خصلة واحدة فأوحى الله إلى

---

(١) أنظر تفسير الألوسي جـــ١٨صـــ٦١١ مطبعة دار الغد

نـــبي زمـــانهم: قل لفلان يتمنى. فقال: يارب أتمنى أن أجاهد بمالي وولدي ونفســـي؛ فرزقه الله ألف ولد، فكان يجهز الولد بماله في عسكره ويخرجه مجـــاهداً في ســـبيل الله، فـــيقوم شهراً ويقتل ذلك الولد، ثم يجهز آخر في عســـكر، فكان كل ولد يقتل في الشهر، والملك مع ذلك قائم الليل صائم النهار، فقتل الألف ولد في ألف شهر، ثم تقدم فقاتل فقتل. فقال الناس: لا أحـــد يدرك منـــزلة هذا الملك؛ فانزل الله تعالى (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَـــهْرٍ) مـــن شـــهور هذا الملك في القيام والصيام والجهاد بالمال والنفس والأولاد في ســـبيل الله.[1] وجاء في تفسير مفاتيح الغيب: روى القاسم بن فضـــل عن عيسى بن مازن، قال: قلت للحسن بن على رضي الله عنه: يا مسوِّد وجوه المؤمنين عمدت إلى هذا الرجل فبايعت له يعنى معاوية فقال: أن رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم، رأى في منامه بنى أمية يطئون منبره واحـــدا بعد واحد، وفى رواية ينـــزون على منبره نزو القردة ، فشق ذلك عليه فأنزل الله تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ) إلى قوله (أَلْفِ شَهْرٍ) يعنى ملك بنى أمية . قال القاسم: فحسبنا ملك بنى أمية، فإذا هو ألف شهر. طعن القاضي في هـــذه الوجـــوه فقال: ما ذكر من (أَلْفِ شَهْرٍ) في أيام بنى أمية بعيد، لأنه تعـــالى لا يذكـــر فضلها بذكر ألف شهر مذمومة، وأيام بنى أمية مذمومة، وأعـــلم أن هذا الطعن ضعيف،وذلك لان أيام بنى أمية كانت أياما عظيمة بحســـب السعادات الدنيوية،فلا يمتنع أن يقول الله: أنى أعطيتك ليلة هي في الســـعادات الدينية أفضل من تلك السعادات الدنيوية.وقال صاحب تفسير

---

(١) أنظر تفسير القرطبي جـ١٠ صـ ٧٤٧١مطبعة دار الغد

مفاتيح الغيب:هذه الآية فيها بشارة عظيمة وفيها تهديد عظيم، أما البشارة: فهي أن الله تعالى ذكر أن هذه الليلة خير؛ و لم يبين قدر الخيرية وهذا كقوله علـــية الصـــلاة والسلام لمبارزة عليّ رضى الله عنه مع عمرو بن عبد ود "أفضـــل مـــن عمل أمتي إلى يوم القيامة" فلم يقل مثل عمله بل قال أفضل كأنـــه يقول حسبك هذا من الوزن والباقي جزاف، وأعلم أن من أحياها فكأنمـــا عـــبد الله تعالى نيفا وثمانين سنة،ومن أحياها كل سنة فكأن رزق أعمـــارا كثيرة، ومن أحيا الشهر لينالها بيقين فكأنه أحيا ثلاثين قدرا.يروى أنه يجاء يوم القيامة بالإسرائيلي الذي عبد الله أربعمائة سنة،ويجاء برجل من هـــذه الأمة،وقد عبد الله أربعين سنة فيكون ثوابه أكثر فيقول الإسرائيلي: أنـــت العدل،وأرى ثوابه أكثر،فيقول: لأنكم كنتم تخافون العقوبة المعجلة فتعبدون،وأمة محمد كانوا آمنين لقوله تعالى:(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِـــيهِمْ)[1] ثم أنهـــم كـــانوا يعبدون،فـــلهذا السبب كانت عبادتهم أكثر ثوابـــاً.وأما التهديد فهو أن تعالى توعد صاحب الكبيرة بالدخول في النار، وأن إحياء مائة ليلة من القدر لا يخلصه عن ذلك العذاب المستحق بتطفيف حبة واحدة، فلهذا فيه إشارة إلى تعظيم حال الذنب والمعصية.[2]

---

(١) سورة الأنفال(٣٣)

(٢) أنظر تفسير مفاتيح الغيب جـــ١٦ صـــ٥٣٦ .

الفصل الخامس

أحداث ليلة القدر

(تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ)

أول فضائل ليلة القدر تنـــزل الملائكة: أي تهبط من كل سماء، ومن سدرة المنتهى، ومسكن جبريل على وسطها فينـــزلون إلى الأرض ويُؤَمِنُون على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر والروح أي: جبريل عليه السلام. وجاء في تفســـير القرطبي: حكى القشيري: أن الروح صنف من الملائكة، جعلوا حفظـــة عـــلى سائرهم، وأن الملائكة لا يروهم كما لا نرى نحن الملائكة، وقال مقاتل: هم أشرف الملائكة وأقربهم من الله تعالى. وقيل: أنهم جند من جـــند الله عز وجل من غير الملائكة. وقيل: هم صنف من خلق الله تعالى يـــأكلون الطعـــام، ولهم أيد وأرجل؛ وليسوا ملائكة. وقيل: الروح: خلق عظـــيم يقوم صفا، والملائكة كلهم صفا. وقيل: الروح: الرحمة ينـــزل بها جـــبريل علـــيه الصلاة والسلام مع الملائكة في هذه الليلة على أهلها؛دليله (يُـــنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ)[1] أي بالرحمة. (فِيهَا): أي في ليلة القدر (بِإِذْنِ رَبِّهِم) أي: بأمره. (مِّن كُلِّ أَمْرٍ)أي : بكل أمر قدره الله وقضاه في تلك السنة إلى قابل؛ وعن انس قال: قال النبي صلى الله علـــيه وســـلم: إذا كان ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصـــلون ويســـلمون على كل عبد قائم أو قاعدة يذكر الله عز وجل.[2] وجـــاء في تفســـير الألوسي الروح عند الجمهور هو: جبريل عليه السلام، وخـــص بالذكـــر لـــزيادة شرفة مع أنه النازل بالذكر، وقيل: ملك عظيم

---

(١) سورة النحل(٢)

(٢) أنظر تفسير القرطبي جـــ١٠ صـــ٧٢،٧٤ طبعة دار الغد

لــو التقم السماوات والأرض كان ذلك له لقمة واحدة وذكر في التيسير: مـــن وصـــفه ما يبهر العقول والله اعلم بصحة الخبر، وقال كعب ومقاتل: الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة كالزهاد الذين لا نراهم إلا يوم العيد أو الجمعة، وقيل: حفظة على الملائكة كالملائكة الحفظة عليها، وقيل: خلق من خلق الله تعالى يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الأنس (وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)[1] (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)[2] ولعـــلهم عـــلى مـــا قيل خدم أهل الجنة . وقيل: هو عيسى عليه الصلاة والســـلام يـــنـــزل لمطالعة هذه الأمور وليزور النبي صلى الله عليه وسلم. وقـــيل: أرواح المؤمنين ينـــزلون لزيادة أهليهم. وقيل: الرحمة .كما قُرِيء (وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ)[3] والظاهر الذي تشهد له الأخبار أن التنـــزل إلى الأرض، وقـــيل يـــنـــزلون إليها للتسليم على المؤمنين، وقيل :لأن الله تعـــالى جعل فضيلة هذه الليلة في الاشتغال بطاعته في الأرض فهم يترلون إلـــيها لتصير طاعتهم أكثر ثوابا كما أن الرجل منا يذهب إلى مكة لتصير طاعته كذلك فيكون المقصود من الأخبار بذلك ترغيب الإنسان في الطاعة ، ويحتمل أن يكون تنـــزلهم لإدراكها إذ ليس في السماء ليل. وقيل: المراد تنـــزلهم إلى السماء الدنيا وهو خلاف المتبادر، وأنزل منه بكثير كون المراد بتنـــزلهم تنـــزلهم عن مراتبهم العلية من الاشتغال بالله تعالى والاستغراق

---

(١) سورة النحل (٨)

(٢) سورة المدثر (٣١)

(٣) سورة يوسف (٨٧)

بمطالعـــة جلالة عز وجل ليسلموا على المؤمنين واستظهر أن المراد بالملائكة عليهم السلام جميعهم واستشكل بأن لهم كثرة عظيمة لا تتحملها الأرض وكـــذا السماء الدنيا لأنها قبل نزولهم مملوءة أطت السماء وحق لها أن تئط مـــا فـــيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم وأجيب بأنهم يـــنـــزلون فوجـــا فوجا فمن نازل وصاعد كالحجاج فإنهم على كثرتهم يدخلون الكعبة مثلا بأسرهم لكن لا على وجه الاجتماع بل هم بين داخل وخـــارج وفي التعبير بتنـــزل المفيد للتدريج دون نزل رمز إليه، وقيل: إنهم لكونهم أنواراً لا تزاحم بينهم، فالنور إذا ملأ حجرة مثلا لا يمنع من إدخال ألف نور عليه كما ترى، ومن الناس من خص الملائكة ببعض فرقهم، وهم ســـكان سدرة المنتهى أو بعض منهم. وفي الغنية للقطب الرباني الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إذا كان لـــيلة القدر يأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن ينـــزل إلى الأرض ومعه ســـكان سدرة المنتهى سبعون ألف ملك ومعهم ألوية من نور، فإذا هبطوا إلى الأرض ركـــز جبريل عليه السلام لواءه والملائكة عليهم السلام ألويتهم في أربعـــة مواطن عند الكعبة وقبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومسجد بيـــت المقـــدس ومســـجد طور سيناء ثم يقول جبريل عليه السلام تفرقوا فيتفرقون ولا يبقى دار ولا حجر ولا بيت ولا سفينة فيها مؤمن أو مؤمنة إلا دخلـــته الملائكة عليهم السلام إلا بيتا فيه كلب أو خنـــزير أو خمر أو جنب من حرام أو صورة تماثيل فيسبحون ويقدسون ويهللون ويستغفرون لأمـــة محمد صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان وقت الفجر ثم يصعدون إلى

السـماء فيستقبلهم سكان سماء الدنيا فيقولون لهم من أين أقبلتم فيقولون كنا في الدنيا، لأن الليلة ليلة القدر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول سكان السماء الدنيا ما فعل الله تعالى بحوائج أمة محمد صلى الله عليه وسلم فـيقول جـبريل علـيه السلام: إن الله تعالى غفر لصالحهم وشفعهم في طالحهم، فترفع ملائكة سماء الدنيا أصواتهم بالتسبيح والتقديس والثناء على رب العـالمين شكرا لما أعطى الله تعالى هذه الأمة من المغفرة والرضوان ثم تشيعهم ملائكة السماء الدنيا إلى الثانية كذلك وهكذا إلى السابعة ثم يقول جـبريل عليه السلام يا سكان السماوات أرجعوا فيرجع ملائكة كل سماء إلى موضـعهم فإذا وصلوا إلى سدرة المنتهى يقول لهم سكانها: أين كنتم؟ فيجيـبونهم مـثل مـا أجابوا أهل السماوات فيرفع سكان سدرة المنتهى أصـواتهم بالتسبيح والتهليل والثناء فتسمع جنة المأوى ثم جنة النعيم وجنة عدن والفردوس ويسمع عرش الرحمن فيرفع العرش صوته بالتسبيح والتهليل والثناء على رب العالمين شكرا لما أعطى هذه الأمة ويقول: إلهي بلغني عنك أنـك غفـرت البـارحة لصالحي أمة محمد صلى الله عليه وسلم وشفعت صـالحها في طالحهـا فيقول الله عز وجل: صدقت يا عرشي ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم عندي من الكرامة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطـر عـلى قلب بشر، وفي رواية عن كعب تنـزل جميع ملائكة سدرة المنتهى مع جبريل عليهم السلام ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى وأن جبريل لا يـدع أحد من الناس إلا صافحه وفي رواية لا يدع مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلم عليه إلا مدمن خمر وآكل لحم الخنزير والمتضمخ بالزعفران وأن علامة

مصافحته عليه السلام اقشعرار الجلد ورقة القلب ودمع العينين، وروى في نزوله مع الملائكة عليهم السلام وعروجه معهم غير ذلك وقد ذكر بعضا من ذلك الإمام وغيره ونسأل الله تعالى صحة الأخبار، وذكر بعضهم: أن جبريل عليه السلام يقسم تلك الليلة ما ينزل من رحمة الله عز وجل حتى يستغرق أحياء المؤمنين فيقول: يارب بقى من الرحمة كثير فما أصنع به فيقول سبحانه وتعالى:قسم على أموات أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقسم حتى يستغرقهم ، فيقول : يا رب بقي من الرحمة كثير فما أصنع به ؟ فيقول سبحانه وتعالى قسمه على الكفار فيقسمه عليهم فمن أصابه منهم شئ من تلك الرحمة مات على الإيمان. (بِإِذْنِ رَبِّهِم) أي: بأمره عز وجل، والتقييد بذلك لتعظيم أمر تنزلهم، وقيل: الإشارة إلى أنهم يرغبون في أهل الأرض من المؤمنين ويشتاقون إليهم فيستأذنون فيؤذن لهم، وفيه نوع ترغيب في الاجتهاد في الطاعة واستشكل أمر هذه الرغبة مع كثرة المعاصي، وأجيب بأنهم غير واقفين على تفاصيلها أو لم يعتبروها مانعة من ذلك لأنهم يرون من أنواع الطاعات مالا يرونه في السماء أو ليسمعوا أنين العصاة التائبين؛ ففي الحديث القدسي: فأنين المذنبين أحبَّ إليَّ من زجل المسبحين، أو ليجتمعوا مع من بينه وبينهم مناسبة من الصديقين أداء لمراسم المحبة، فإن أرواح الصديقين المتجردة عن جلابيب الأبدان لم تزل تزور الملائكة عليهم السلام في مواضعهم بعروجها إليهم فناسب أن تزورهم الملائكة عليهم السلام في زواياهم، وأن اقتضى ذلك الاجتماع مع غيرهم ممن ليسوا كذلك فإنه أمر تبعي.

ولأجل عين ألف عين تكرم ....

(مِّن كُلِّ أَمْرٍ): أي من أجل كل أمر تعلق به التقدير في تلك السنة إلى قابل وأظهـــره سبحانه وتعالى لهم. ـــ فمن بمعنى اللام التعليلية متعلقة بتنــــزل، وقـــيل مـــن بمعنى الباء : أي تنـــزل بكل أمر ـــ فقيل أي من الخير والشر وقيل من الخير والبركة ـــ وجعلت الباء عليه للسببية ـــ ومنهم من جعلها للملابسه والمراد بملابستهم له ملابستهم للأمر به فكأنه قيل تنـــزل الملائكة وهم مأمورون بكل أمر يكون في السنة وكونهم يتنـــزلون وهم كذلك لا يســـتدعى فعـــلهم جميع ما أمر و أن تلك الليلة[1] وجاء في تفسير مفاتيح الغيـــب: أن نظر الملائكة على الأرواح، ونظر البشر على الأشباح، ثم أن الملائكـــة- لما رأوا روحك محلا للصفات الذميمة من الشهوة والغضب ما قـــبلوك فقالوا: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء)[2]، وأبواك لما رأوا قبح صورتك في أول الأمر حين كنت مَنيًّا وعلقه ما قبلوك أيضا، بل اظهـــروا النفرة، واستقذروا ذلك المنى والعلقة، وغسلوا ثيابهم عنه، ثم كم احـــتالوا للإســـقاط والإبطال، ثم أنه لما أعطاك الصورة الحسنة فالأبوان لما رأوا تلـــك الصـــورة الحسنة قبلوك ومالوا إليك. فكذا الملائكة لما رأوا في روحـــك الصورة الحسنة وهى معرفة الله عز وجل وطاعته أحبوك فنـــزلوا إلـــيك معـــتذرين عمـــا قالوه أولا فهذا هو المراد من قوله تعالى: (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ)، فإذا نزلوا إليك رأوا روحك في ظلمه ليل البدن، وظلمه القوى

(١) أنظر تفسير الألوسي جـ١٢ صـ٦١٤، ٦١٥.

(٢) سورة البقرة (٣٠)

الجسمانية فحينئذ يعتذرون عما تقدم (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا)[1]، وقوله تعـــالى (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ) يقتضي ظاهره نزول كل الملائكة، ثم الملائكة لهم كثره عظيمة لا تحتمل كلهم الأرض، فلهذا السبب اختلفوا فقال بعضهم: أنهـــا تـــنـــزل بأسرها إلى السماء الدنيا، ينـــزلون فوجا فوجا فمن نازل وصاعد كأهل الحج فأنهم على كثرتهم يدخلون الكعبة بالكلية لكن الناس بين داخل وخارج، ولهذا السبب مدت إلى غاية طلوع الفجر، فلذلك ذكر بلفـــظ (تَـــنَزَّلُ) الذي يفيد المرة بعد المرة، وأنهم ينـــزلون إلى الأرض لأن الغـــرض هو الترغيب في أحياء هذه الليلة، ولأنه دلت الأحاديث على أن الملائكـــة يـــنـــزلون في سائر الأيام إلى مجالس الذكر والدين، فلأن يحصل ذلـــك في هذه الليلة مع علو شأنها أولى، ولأن النـــزول المطلق لا يفيد إلا الـــنـــزول مـــن السماء إلى الأرض. واختلفوا في علة نزول الملائكة فقال بعضـــهم: ينـــزلون ليروا عبادة البشر وجدهم واجتهادهم في الطاعة.وقال آخرون: أن الملائكة قالوا: (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ)[2] فهذا يدل على أنهم كانوا مأمورين بذلك النـــزول فلا يدل على غاية المحبة.

وقوـــله تعالى (بِإِذْنِ رَبِّهِم) يدل على أنهم استأذنوا أولا فأذنوا وذلك يدل عـــلى غايـــة المحـــبة، لأنهم كانوا يرغبون إلينا ويتمنون لقاءنا، لكن كانوا ينتظرون الإذن روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه قوله: إن الملائكة ينـــزلون ليسلموا علينا وليشفعوا لنا فمن أصابته التسليمة

---

(١) سورة غافر (٧).

(٢) سورة مريم (٦٤)

غفــر الله له ذنبه، ولقد جعل الله فضيلة هذه الليلة في الاشتغال بطاعته في الأرض فهم ينــزلون إلى الأرض لتصير طاعتهم أكثر ثواباً، كما أن الرجل يذهــب إلى مكة لتصير طاعته أكثر ثواباً، وكل ذلك ترغيب للإنسان في الطاعة، والإنسان يأتي بالطاعات والخيرات عند حضور الأكابر من العلماء والــزهاد أحسن مما يكون في الخلوة، فالله تعالى أنزل الملائكة المقربين حتى أن المكلــف يعــلم إنه إنما يأتي بالطاعات في حضور أولئك العلماء العُبَّاد والــزهاد فيكون أتم وعن النقصان أبعد. عن كعب: أن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة مما يلي الجنة، فهي على حد هواء الدنيا وهواء الآخرة، وســاقها في الجنة وأغصانها تحت الكرسي فيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله يعــبدون الله ومقام جبريل في وسطها، ليس فيها ملك إلا وقد أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين ينــزلون مع جبريل ليلة القدر، فلا تبقى بقعة من الأرض إلا وعليها ملك ساجدا أو قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات، وجبريل لا يــدع أحدا من الناس إلا صافحه، وعلامة ذلك من أقشعر جلده ورق قلــبه ودمعــت عيناه، فإن ذلك من مصافحة جبريل عليه السلام، من قال فــيها ثــلاث مرات لا إله إلا الله غفر له بواحدة، ونجاه من النار بواحدة، وأدخلــه الجــنة بواحدة، وأول من يصعد جبريل حتى يصير أمام الشمس فيبسط جناحين أخضرين لا ينشرهما إلا تلك الساعة من يوم تلك الليلة ثم يدعــو ملكــا ملكا، فيصعد الكل ويجتمع نور الملائكة ونور جناح جبريل علــيه السلام، فيقيم جبريل ومن معه من الملائكة بين الشمس وسماء الدنيا يومهــم ذلــك مشغولين بالدعاء والرحمة والاستغفار للمؤمنين، ولمن صام

رمضـــان احتســـابا، فـــإذا أمسوا دخلوا سماء الدنيا فيجلسون حلقا حلقا فتجـــتمع إليهم ملائكة السماء فيسألونهم عن رجل رجل وعن امرأة امرأة حـــتى يقولـــوا ما فعل فلان وكيف وجدتموه؟ فيقولون وجدناه عام أول متعـــبدا، وفي هـــذا العام مبتدعا، وفلانا كان عام أول مبتدعا، وهذا العام متعبدا، فيكفون عن الدعاء للأول، ويشتغلون بالدعاء للثاني ووجدنا فلانا تالـــيا، وفلانـــا راكعـــا، وفلانا ساجدا. فهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصـــعدوا السماء الثانية وهكذا يفعلون في كل سماء حتى ينتهوا إلى السدرة فتقول لهم السدرة: يا سكاني حدثوني عن الناس فإن لي عليكم حقا، وأني أحـــب من أحب الله. فذكر كعب أنهم يعدون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسمـــاء آبائهم، ثم يصل ذلك الخبر إلى الجنة، فتقول الجنة: اللهم عجلهم إليّ، والملائكـــة وأهـــل السدرة يقولون. آمين. آمين. وكلما كان الجمع أعظم، كان نزول الرحمة هناك أكثر، ولذلك فإن أعظم الجموع في موقف الحـــج ، لا جرم كان نزول الرحمة هناك أكثر ، فكذا في ليلة القدر يحصل مجمع المقربين، فلا جرم كان نزول الرحمة أكثر. وقيل: أن الروح هو ملك عظـــيم ولو التقم السماوات والأرضين كان ذلك له لقمة واحدة ، وقيل: طائفـــة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا ليلة القدر كالزهاد الذين لا نراهم إلا يوم العيد وقيل: خلق من خلق الله يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا مـــن الأنـــس ولعلهم من خدم أهل الجنة وقيل: يحتمل أنه عيسى عليه الصـــلاة والسلام لأنه اسمه ثم أنه ينـــزل في موافقة الملائكة ليطلع على أمة محمـــد صـــلى الله عليه وسلم وقيل : الروح هو القرآن الكريم قال تعالى

(وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا)[1] وقيل : الروح : الرحمة[2] قريء (وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ)[3] بالرفع – كأنه تعالى يقول : الملائكة ينزلون ورحمتي تنزل في أثرهم فيجدون سعادة الدنيا وسعادة الآخرة وقيل : الروح أشرف الملائكة ، وقيل : الروح هم الحفظة والكرام الكاتبون فصاحب اليمين يكتب إتيانه بالواجب ، وصاحب الشمال يكتب تركه للقبيح والصحيح والله تعالى أعلى وأعلم أن الروح هاهنا جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه كأنه تعالى يقول الملائكة في كفة والروح في كفة، وروى أنهم يطالعون اللوح فيرون فيه طاعة المكلف مفصله ، فإذا وصلوا إلى معاصيه أرخي الستر فلا يرونها ، فحينئذ يقول سبحان من أظهر الجميل وستر على القبيح ، وحاصل الفضل أن الملائكة والروح يرون في الأرض من أنواع الطاعات أشياء ما رأوها في عالم السماوات ، وأن الأغنياء يجيئون بالطعام من بيوتهم فيجعلونه ضيافة للفقراء ، والفقراء يأكلون طعام الأغنياء ويعبدون الله ، وهذا نوع من الطاعة لا يوجد في السماوات ، وأنهم يسمعون أنين العصاة وهذا لا يوجد في السماوات ، وأن الله تعالى قال :

(لأنين المذنبين أحب إليّ من زجل المسبحين) فقالوا : تعالوا نذهب إلى الأرض فنسمع صوتاً هو أحب إلى ربنا من صوت تسبيحنا وكيف لا

---

(١) سورة الشورى (٥٢)

(٢) أنظر تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي ج ١٦ ص ٥٤١ دار الغد العربي

(٣) سورة يوسف (٨٧)

يكون أحب وزجل المسبحين إظهار لكمال حال المطيعين وأنين العصاة هو إظهار لغفارية رب السماوات والأرض ، ــ تنــزل الملائكة والروح فيها بــإذن ربهــم ــ هذه الآية دالة على عصمة الملائكة ونظيرها قوله تعالى : (وَمَــا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ)[1] ، وقوله تعالى: (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ)[2] وفيها دقــيقة وهي أنه تعالى لم يقل مأذونين بل قال (بِإِذْنِ رَبِّهِم) وهو إشارة إلى أنهــم لا يتصرفون تصرفاً ما إلا بإذنه ، ومن ذلك قول الرجل لامرأته : إن خرجــت إلا بإذني فإنه يعتبر الإذن في كل خرجه ، وقوله تعالى : (رَبِّهِم) يفــيد تعظيماً للملائكة وتحقير للعصاة ، كأنه تعالى قال : كانوا لي فكنتُ لهــم ، ونظيره في حقنا (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)[3] وقال لحبيبه ورسوله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ) [4] ونظــيره ما روي أن داود لما مَرِضَ مَرَضَ الموت قال : إلهي كن لسليمان كما كنتَ ليّ فنــزل الوحي وقال : قل لسليمان فليكن لي كَمَا كُنْتَ لِي . وروي عــن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام : أنه فقد الضيف أياماً فخرج بالسفرة ليلتمس ضيفاً فإذا بخيمة فنادى : أتريدون الضيف ؟ فقيل : نعــم ، فقــال للمضيف : أيوجد عندك إدام لبن أو عسل ؟ فرفع الرجل صــخرتين فضرب إحداهما بالأخرى فانشقا فخرج من إحداهما اللبن ومن

---

(١) سورة مريم (٦٤)

(٢) سورة الأنبياء (٢٧)

(٣) سورة يونس (٣)

(٤) سورة ص (٧)

الأخرى العسل فتعجب إبراهيم وقال : إلهي أنا خليلك و لم أجد مثل ذلك الإكرام،فما له؟فنــزل الوحي:يا خليلي كان لنا فكنا له.أما قوله تعالى(مِّن كُــلِّ أَمْرٍ)فمعناه تنــزل الملائكة والروح فيها من أجل كل أمر والمعنى:أن كـــل واحـــد مـــنهم إنما أنزل لمهم آخر حيث أنهم كانوا في أشغال كثيرة فبعضهم للركوع وبعضهم للسجود وبعضهم للدعاء وكذا القول في التفكر والتعلـــيم وإبـــلاغ الوحي وبعضهم لإدراك فضيلة الليلة أو ليسلموا على المؤمـــنين ونزولهم من أجل كل أمر قدر في تلك السنة من خير أو شر،وفيه إشـــارة إلا أن نزولهم إنما كان عبادة،فكأنهم قالوا ما نزلنا إلى الأرض لهوى أنفسنا ولكن لأجل كل أمر فيه مصلحة المكلفين،وعم لفظ الأمر ليعم خير الدنيا والآخرة بياناً منه أنهم ينـــزلون بما هو صلاح المكلف في دينه ودنياه كـــأن السائل يقول من أين جئت؟فيقول:ما لك وهذا الفضول،ولكن قل لأي أمـــر جئت لأنه حظك؟و قرأ بعضهم(من كل امرئ)أي من أجل كل إنسان،وروي أنهم لا يلقون مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلموا عليه،فإن قيل:أليس أنـــه قـــد روي أنه تقسم الآجال والأرزاق ليلة النصف من شعبان،والآن تقولـــون أن ذلك يكون ليلة القدر؟ونقول وبالله التوفيق:عن النبي صلى الله علـــيه وسلم أنه قال:إن الله يقدر المقادير في ليلة البراءة،فإذا كان ليلة القدر يسلمها إلى أربابها وقيل:يقدر ليلة البراءة الآجال والأرزاق،وليلة القدر يقدر الأمـــور التي فيها الخير والبركة والسلامة،وقيل:يقدر في ليلة القدر ما يتعلق

بـــه إعزاز الدين،وما فيه النفع العظيم للمسلمين ، وأما ليلة البراءة فيكتب فيها أسماء من يموت ويسلم إلى ملك الموت.[1]

---

(١) أنظر مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي جـــ ٣٢ صـــ ٥٤١

الفصل السادس

منحة الله لعباده في ليلة القدر

(سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)

لــيلة القدر لا يحدث فيها بلاء ليس فيها إلا السلامة ولا تنعقد فيها نطفة كافر ، وقيل: هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءً و لا يحدث فيها أذى ، فالمعنى ليلة القدر ذات سلامة من كل مخوف ولا شر فيها حتى يطلع الفجر وما هي إلا سلامة على الإطلاق فهي ليلة إقبال وإدبار أي لا يقــدر فــيها إلا السلامة والخير والتوقف بأنه قد يقع فيها آفات لا بد من تقديرها مردود بما علمت من أن التقدير اللازم العام أزلي والمراد هنا إظهار المقادير في مواكب الملأ الأعلى فيجوز الاختصاص بأنواع النعم والخيرات وبدائع التفضل وعظائم النفحات ويحتمل ربط هي بما بعده وربط سلام بما قــبله أو يقدر له وقيل هي ضمير الملائكة وسلام بمعنى تسليم أي تحية أي من الملائكة ذات تسليم أي تحية على المؤمنين من مغيب الشمس بحيث لا يمــرون على مؤمن ولا مؤمنة إلا سلموا عليه أي ما هي إلا سلام أي تحية مــن الملائكة على المؤمنين في زيارتهم إياهم واستغفارهم لهم تداركاً لقولهم (أَتَجْعَــلُ فِــيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا) [1] وتحقيقاً لبعض ما أشار له جل وعلا جوابــاً لهم (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) ويستمرون على التسبيح والاستغفار (حَــتَّى) أي إلى (مَطْلَــعِ الْفَجْرِ) أي وقت طلوعه وما بعده حتى داخل في حكــم ما قبلها فقد ورد كما في الدر المنثور أن يومها في الفضل كليلتها وأن الشمس تطلع كل يوم بين قرني الشيطان إلا صبيحة ليلة القدر وتكون

---

(١) سورة البقرة (٣٠)

صـــافية نقية ولا ينافيه تصفيد الشياطين في شهر رمضان كما توهم إذ قد تطلـــع بين قرنيه وهو مصفد على تسليم عموم التصفيد على حقيقته وإذا كان يومها في الفضل كليلتها فليكثر فيه من أعمال الخير أيضاً فإن المقصود استجلاب رحماه والتعرض لما يوجب إقباله كل وقت ورضاه وقد قيل:

وكل الليالي ليلة القدر إذ دنت ∴ كما كل أيام اللقا يوم جمعة

فعـــلى الإنســـان المسلم سلوك طريقة الوصول إليه عسى أن يظفر بالقبول وبلوغ المأمول لديه ووال أعمال بره خصوصا ذكر الله عز وجل والإكثار منه لقوله تعالى (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) [1]لاسيما أفضله، فقد ورد افضل ما قلته أنا و النبيون من قبلي لا إله إلا الله، وورد مفتاح الجنة لا إله إلا الله، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، وقد ورد قراءة (إنـــا أنزلناه في ليلة القدر) إلى أخر السورة تعدل ربع القرآن الكريم، وقال بعض العلماء: من كانت له حاجة إلى الله تعالى فليقرأ سورة القدر إحدى وأربعين مرة ويسأل الله تعالى حاجته، وشكى بعض الناس إلى الولي الكبير أحمـــد بـــن موسى بن عجيل الفقر فأمره بالإكثار من سورة القدر وبهذا الدعاء: اللهم يا من يكتفي عن خلقه جميعا ولا يكتفي عنه أحد من خلقة يـــا أحـــد مـــن لا أحد له انقطع الرجا إلا منك وخابت الآمال إلا فيك وانســـدت الطـــرق إلا إليك يا غياث المستغيثين أغثني وتكرر أغثني سبع مرات.[2] وجاء في تفسير القرآن الكريم للقرطبي: أن ليلة القدر ليلة سلامة

---

(١) انظر تفسير القرآن الكريم الألوسي جـــ ١٨ صـــ ٦١٨ مطبعة دار الغد العربي

(٢) أنظر فضائل ليلة القدر للشيخ موسى بن سعد صـــ٣٩ دار الغد

وخــير كــلها لا شر فيها إلى طلوع الفجر ولا يقدر الله في تلك الليلة إلا السـلامة، وفى سـائر الليالي يقضى بالبلايا والسلامة، وقيل أي هي سلام أي: ذات سـلامة مـن أن يؤثر فيها شيطان في مؤمن ومؤمنه، وكذا قال مجـاهد هـي ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا ولا أذى، وقال الشعبي: هو تسليم الملائكة على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلـع الفجر، يمرون على كل مؤمن ويقولون: السلام عليك أيها المؤمن، وقيل: يعنى سلام الملائكة بعضهم على بعض فيها، وأن الملائكة في تلك الليلة بعدد الحصى. وقال ابن عباس رضىَ الله عنهما: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذ كان ليلة القدر تنـزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنـتهى منهم جبريل ومعهم ألوية ينصب منها لواء على قبرى، ولواء على بيـت المقدس ولواء على المسجد الحرام، ولواء على طور سيناء، ولا تدع فـيها مؤمـنا ولا مؤمـنة إلا تسلم عليه إلا مدمن الخمر، وآكل الخنزير، والمتضمخ بالزعفران. وفى الحديث: إن الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضـئ فجرها ولا يستطيع أن يصيب فيها أحداً بخبل ولا شئ من الفساد ولا يـنفذ فـيها سحر ساحر.وقال الشعبي: يومها كليلها وليلها كيومها. وقال الفراء: لا يقدر الله في ليلة القدر إلا السعادة والنعم، ويقدر في غيرها الـبلايا والنقم. وقال سعيد بن المسيب في الموطأ: من شهد العشاء من ليلة القـدر فقد أخذ بحظه منها ومثله لا يدرك بالرأي، وقد روى عبد الله بن عامـر بـن ربيعه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من صلى صلاة المغـرب والعشـاء الآخرة من ليلة القدر في جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة

القــدر. فلــيحافظ كل مؤمن على حضور صلاة المغرب وصلاة العشاء وصلاة الفجر كل ليلة في شهر رمضان حتى يأخذ بحظه من ليلة القدر.[1]

وجـــاء في تفسير الألوسي: قيل أن ليلة القدر ما هي إلا سلامة على نحو ما رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم إلا رحمة والمراد أنها سبب تام للسلامة والــنجاة من المهالك يوم القيامة حيث أن من أقامها إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه. وعلى المسلم أن يستغل هذه الفرصة ويجتهد في ليلة القدر بـــأنواع العبادات من صلاة وغيرها، وقال سفيان الثوري: الدعاء في تلك اللـــيلة أحب من الصلاة ثم أفاد أنه إذا قرأ ودعا كان حسنا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في ليالي شهر رمضان ويقرأ فيها قراءة مرتلة لا يمـــر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا تعوذ، وذكر ابن رجب أن الأكمل الجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر، وقد كان رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يفعل ذلك كله لا سيما في العشر الأواخر ويحصل قـــيامها عـــلى مـــا قال البعض بصلاة التراويح. أن ليلة القدر عند السادة الصوفية ليلة يختص فيها السالك بتجل خاص يعرف به قدره ورتبته بالنسبة إلى محبو به وهى وقت ابتداء وصول السالك إلى عين الجمع ومقام البالغين في المعرفة وما ألطف قول الشيخ عمر بن الفارض قدس الله سره.

وكل الليالي ليلة القدر إن دنت ∴ كما كل أيام اللقا يوم جمعة.[2]

---

(١) أنظر تفسير القرآن الكريم للقرطبي حــ١٠ صــ٧٤٧٤ دار الغد

(٢) أنظر تفسير القرآن الكريم للألوسي حــ١٨ صــ٦١٨ مطبعة دار الغد العربي

جاء في تفسير مفاتيح الغيب : وصف الله تبارك وتعالى الليلة بأنها سلام، ثم يجـــب أن لا يستحقر هذا السلام لأن سبعة من الملائكة سلموا على الخليل في قصـــة العجـــل الحنيذ، فازداد فرحه بذلك على فرحه بملك الدنيا، بل الخليل لما سلم الملائكة عليه صار نار نمروذ عليه (بَرْدًا وَسَلَامًا)[1] أفلا تصير ناره تعالى ببركة تسليم الملائكة علينا بردا وسلاما ولكن ضيافة الخليل لهم كانت عجلا مشويا وهم يريدون منا قلبا مشويا بل فيه دقيقة، وهى إظهار فضـــل هذه الأمة، فإن هناك الملائكة، نزلوا على الخليل، وهاهنا نزلوا على أمـــة محمـــد صـــلى الله عليه وسلم. أن ليلة القدر أنها سلام من الشرور والآفـــات أي ســـلامة وهذا كما يقال: إنما فلان حج وغزو أي هو أبدا مشغول بهما ومثله قول الخنساء ترثى أخاها صخر :

فإنما هي إقبال وإدبار

أي هـــي مقبلة ومدبرة أبدا وقالوا: تنـــزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالخيرات والسعادات ولا ينـــزل فيها من تقدير المضار شئ فما ينـــزل في هـــذه الليلة فهو سلام، أي سلام ونفع وخير، وقال أبو مسلم: سلام أي اللـــيلة سالمة عن الرياح والأذى والصواعق إلى ما شابه ذلك، ولا يستطيع الشيطان في ليلة القدر سوءا، وأن ليلة القدر من أولها إلى مطلع الفجر سالمة في أن العـــبادة في كل واحد من أجزائها خير من ألف شهر ليست كسائر الليالي في أن يستحب للفرض الثلث الأول وللعبادة النصف وللدعاء السَّحَرْ بـــل هي متساوية الأوقات والأجزاء، وليلة القدر سلام هي: أي جنة لأن

---

(١) سورة الأنبياء (٦٩)

مـــن أسمـــاء الجنة دار السلام أي الجنة المصوغة من السلامة.[1] وجاء في كـــتاب تنبيه الغافلين: أنه إذا كانت ليلة القدر يأمر الله تعالى جبريل فيهبط في كبكـــبة مـــن الملائكة إلى الأرض ومعه لواء أخضر فيركزه على ظهر الكعـــبة ثم ينشر أجنحته التي لا ينشرها إلا في ليلة القدر فيجوزان المشرق والمغـــرب فيبعـــث جبريل الملائكة في هذه الليلة فيسلمون على كل قائمٍ، وقـــاعدٍ، ومصلٍ ،وذاكرٍ، ويصافحونهم ويُؤَمِنُونَ على دعائهم حتى يطلع الفجـــر فإذا طلع الفجر نادى جبريل عليه السلام يا معشر الملائكة الرحيل الرحـــيل فـــيقولون يا جبريل ما صنع الله في حوائج المؤمنين منْ أمة محمد صـــلى الله عليه وسلم فيقول: إن الله تعالى نظر إليهم وعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة، فقالوا: ومن هؤلاء الأربعة؟ قال جبريل عليه السلام: مدمن خمر، وعاق لوالديه، وقاطع الرحم، ومشاحن؛ وسئل الرسول عن المشاحن قيل: يـــا رسول الله ومن المشاحن؟ فقال صلى الله عليه وسلم: هو الصارم يعني الـــذي لا يكـــلم أخاه فوق ثلاثة أيام.[2] جاء في مختصر تفسير ابن كثير: (سَلَامٌ هِيَ) يعنى هي خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر، وأمارة ليلة القـــدر أنها صافية بلجة، كأن فيها قمراً ساطعا، ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حـــر والشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال: في لـــيلة القـــدر (ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمس

---

(١) أنظر تفسير مفاتيح الغيب للأمام فخر الدين الرازي جـــ٣٢ صـــ٤٤٥ مطبعة دار الغد

(٢) أنظر تنبيه الغافلين الفقيه الزاهد نصر بن محمد السمرقندي صـــ١٢٨

صبيحتها ضعيفة حمراء). وقيل : أن ليلة القدر كانت في الأمم الماضية كما هـــي في أمتنا ثم هي باقية إلى يوم القيامة وفى شهر رمضان خاصة لا كما روى عـــن أبن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة من أنها توجد في جميع السنة وترتجي في جميع الشهور على السواء، وقد حكى عن أبي حنيفة رحمه الله رواية أنها ترتجي في كل شهر رمضان وهو وجه حكاه الغزالي وقد حكى عن الأمام مالك رضى الله عنه : أن جميع ليالي العشر فيه تطلب ليلة القـــدر على السواء، لا يترجح منها ليلة على الأخرى، والمستحب الإكثار من هذا الدعاء: اللهم أنك عفو تحب العفو فاعف عني، لما رواه الأمام أحمد عـــن عبد الله بن بريده أن عائشة رضى الله عنها قالت: يا رسول الله: إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال: (قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عـــني)[1] وجـــاء في كتاب درة الناصحين : قيل : عظم الله تعالى القرآن الكـــريم بـــثلاثة أوجه : الأول : بأن أسند إنزاله إليه وجعله مختصاً به دون غـــيره ، والثاني جاء بالضمير دون الاسم الظاهر شهادة له بالنباهة في رفعة القدر لكمال الشرف ، والثالث : رفع مقدار الوقت الذي أنزل فيه . وقيل سبب نزول الملائكة إلى الأرض في ليلة القدر أنهم لما قالوا:(أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَـــا لاَ تَعْلَمُـــونَ)[2] أظهـــر أن الأمر خلاف ما قالوا وبين حال المؤمنين فنـــزلوا يسلمون عليهم ويعتذرون مما قالوا ويدعون ويستغفرون لهم . عن

---

(١) أنظر مختصر تفسير ابن كثير اختصار وتحقيق محمد على الصابوني جـــ٣ صـــ٦٦٠

(٢) سورة البقرة (٣٠)

ابـــن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من صـــلى في ليلة القدر ركعتين يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وسورة الإخلاص سبع مرات فإذا سلم يقول : استغفر الله وأتوب إليه سبعين مرة ، فـــلا يقـــوم من مقامه حتى يغفر الله له ولأبويه ولا يخرج من الدنيا حتى يـــرى ذلك كله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله ينـــزل في كل لـــيلة القدر رحمة واحدة تصيب جميع المؤمنين من شرق الأرض إلى غربها ويـــبقى منها بقية فيقول جبريل عليه السلام : يا رب بلغت رحمتك جميع المؤمنين وبقيت فضلة ، فيقول الله تعالى : أصرفها إلى المواليد الذين ولدوا في هـــذه اللـــيلة فيصرف جبريل تلك الرحمة إلى مواليد الإسلام والكفار ، وصـــارت تلـــك الرحمة لأولاد الكفار خاصة وهي تجرهم إلى دار السلام فيموتون بها مؤمنين ؛ كما قال موسى عليه الصلاة والسلام في مناجاته ربه : إلهـــي أريد قربك ، فقال الله تعالى قربي لمن استيقظ ليلة القدر ، وقال : إلهـــي أريد رحمتك ؛ فقال الله تعالى: رحمتي لمن يرحم المسكين ليلة القدر ، وقـــال : إلهي أريد الجواز على الصراط كالبرق ، فقال الله تعالى ذلك لمن تصدق ليلة القدر ، وقال : إلهي أريد أن أقعد تحت ظل أشجار الجنة وآكل مـــن ثمارها ، فقال الله تعالى : لمن سبح تسبيحه ليلة القدر ، وقال : إلهي أريد النجاة من النار ، فقال الله تعالى ذلك لمن استغفر الله تعالى ليلة القدر إلى الصـــبح ، وقال : إلهي أريد رضاك ، فقال الله تعالى: رضاي لمن صلى ركعتين ليلة القدر . وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قـــال : (يـــنـــزل في ليلة القدر أربعة ألوية : لواء الحمد ، ولواء الرحمة ،

ولواء المغفرة ، ولواء الكرامة ، ومع كل لواء جمع كبير من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل وعلى كل لواء مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله). قـــال عليه الصلاة والسلام من قال في تلك الليلة ثلاث مرات لا إله إلا الله محمد رسول الله غفر الله له بواحدة وأنجاه من النار بواحدة وأدخله الجنة بواحدة فينصب لواء الحمد بين السماء والأرض ، ولواء المغفرة على قـــبر الـــنبي محمـــد صلى الله عليه وسلم ، ولواء الرحمة فوق الكعبة ولواء الكـــرامة فـــوق الصخرة في بيت المقدس ،وكل واحد منهم يجيء في تلك الليلة على باب المسلمين يسلم عليهم)[1] وجاء في فتح الباري : ورد لليلة القدر علامات أكثرها لا تظهر إلا بعد أن تمضي ، منها : أن الشمس تطلع في صـــبيحتها لا شعاع لها مثل (الطست) صافية طلقة لا حارة ولا باردة تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة ، أنها صافية بلجة كأن فيها قمراً ساطعاً ساكنا صاحية لا حر فيها ولا برد ، ولا يحل لكوكب يرمى به فيها ، ومن إماراتهـــا: أن الشمس في صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر لـــيلة البدر ، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ ، والشمس تطلع كل يـــوم بـــين قرني شيطان إلا صبيحة ليلة القدر وهي ليلة مطر وريح تتضح كواكـــبها ولا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها ، وأن الملائكة تلك الليلة أكـــثر في الأرض مـــن عدد الحصى ، ويقبل الله التوبة فيها من كل تائب وتفتح فيها أبواب السماء وهي من غروب الشمس إلى طلوعها . وإن المياه المالحة تعذب تلك الليلة ، وأن الأشجار في تلك الليلة تسقط إلا الأرض ثم

(١) أنظر درة الناصحين للشيخ عثمان خوبري صـــ ٢٨٥

تعــود إلى منابتها ، وأن كل شيء يسجد فيها . قال العلماء : الحكمة في إخفــاء ليلة القدر ليحصل الاجتهاد في التماسها ، بخلاف ما لو عينت لها ليلة لاقتصر عليها ، وهذه الحكمة مطردة عند من يقول أنها في جميع السنة وفي جمــيع شــهر رمضان أو في جميع العشر الأخير أو في أوتاره خاصة ، واخــتلفوا هل لها علامة تظهر لمن وفقت له أم لا ؟ فقيل : يرى كل شيء ساجد ، وقيل الأنوار في كل مكان ساطعة حتى في المواضع المظلمة ، وقيل يســمع ســلاماً أو خطاباً من الملائكة ، وقيل علامتها استجابة دعاء من وفقــت له ، وقــيل أن جميع ذلك غير لازم وأنه لا يشترط لحصولها رؤية شيء ولا سماعه [1]

(١) أنظر فتح الباري لشرح صحيح البخاري جـ ٤ صـ ٢٦٤ دار المعرفة



الخاتمة

وبعد :

كـــان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان فـــيقول: (قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه ، فـــيه تفتح أبواب الجنان ، وتغلق أبواب الجحيم وتغل الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم)[1] . من كل ما سبق يتضح لـــنا فضـــل ليلة القدر في حياة أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . فقد أنزل الله فيها القرآن الكريم وأول ما أنزل منه (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ {١} خَلَــقَ الْإنسَـــانَ مِنْ عَلَقٍ {٢} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {٣} الَّذي عَلَّمَ بِـــالْقَلَمِ {٤} عَلَّمَ الْإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) ، وكان نزول ذلك القول الكريم عـــلى رســـول الله صلى الله عليه وسلم وهو في غار حراء في تلك الليلة المـــباركة التي تعرج بقدومها الملائكة ، وأنزل تبارك وتعالى القرآن الكريم كله في صحف من اللوح المحفوظ الحاوي لكل ما شاء الله تقديره إلى سماء الدنـــيا في مكان بها يسمى بيت العزة، ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام بـــإذن الله – بعـــد ذلـــك – منجما مفرقا على حسب الوقائع والمصالح ومقتضـــيات الأحـــوال في ثلاث وعشرين سنة ـــ تيسيرا لضبط أحكامه وفهمـــه وحفظـــة (وَقَالَ الَّذينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْه الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحدَةً كَذَلكَ لِنُثَبِّتَ به فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتيلًا) فلو نزل جملة واحدة لضلت الإفهام وحـــارت الأفكـــار ولم يطقه الأنام، لنـــزول القرآن الكريم في تلك الليلة

---

(١) رواه الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه

الكـــريمة . وسميت ليلة القدر ـــ آي ليلة الشرف والمنـــزلة العالية — وما أعـــلمك ما تلك الليلة العالية القدر، ولا عجب أن تكون كذلك ليلة أنزل فـــيها الله الذي دون قدره كل قدر . كتابا ذا قدر بواسطة ملك ذي قدر، عـــلى رسول ذي قدر، لأمة ذات قدر وهي ليلة القدر لأن للطاعات فيها قـــدرا عظـــيما وثواباً جزيلا كريما فضلا منه تعالى وهو سبحانه يختص ما يشاء بما شاء والعبادة في ليلة القدر أكثر ثواباً، وأعظم فضلا من العبادة في ألـــف شـــهر، ولا عجـــب فالعمل القليل قد يفضل الكثير باعتبار الزمان والمكـــان وكيفية الأداء، وتنـــزل الملائكة بكل أمر من الخير والبركة على كل مسلم ومسلمة يكونان في عبادة الله تعالى من صلاة أو صدقة أو قراءة القرآن الكريم أو الذكر والدعاء والاستغفار والتوبة وغير ذلك من العبادات المقـــبولة عند الله عز وجل، وليتحر المسلم ليلة القدر في العشر الأخير من شـــهر رمضـــان وبخاصة في ليالي ذلك العشر الفردية، فليتق الله كل مسلم ومســـلمة ومؤمن ومؤمنة ولا يحرم نفسه قيام تلك الليلة المباركة اللحظات العامرة بالنفحات التي يؤمن فيها على تأمينه الملائكة مع جبريل عليه الصلاة والســـلام. فقمها يا عبد الله مقتديا برسول الله صلى الله عليه وسلم عابدا خاشـــعا خاضعا متضرعا، حولك جنود الرحمن، عن يمينك، وعن شمالك: لزيادة هداك، وأن الإذاعات الربانية (وأن لم تسمعها) تكون مفتوحة حينئذ يرفع ذكرك في الملأ الأعلى فيا بشراك قال تعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[1] وقال صلى

---

(١) سورة آل عمران (٣١)

الله علـــيه وسلم: إذا أحب الله تعالى العبد نادى جبريل: إن الله تعالى يحب فلانا فاحبه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحـــبه أهل السماء ثم يوضع القبول في الأرض[1] وقل – يا عبد الله – في تلـــك الليلة العظيمة – بصدق من قلبك وإخلاص لربك: أستغفرك اللهم، وأتـــوب إلـــيك، إلهي أسأت، وندمت وإليك رجعت. فأغفر لي وعافني واعـــف عـــنى فإنك عفو كريم حليم تحب العفو يا حكيم يا وهاب، فالله تبارك وتعالى، وهو الحليم الذي لا يعجل بالعقوبة، والكريم الذي لا يبخل بالـــتوبة يقـــول لك حينئذ، وأن لم تسمع: وأنا يا عبدي سترت وعفوت وقبلت: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[2] ونلجأ إلى المـــولى عز وجل ونتوسل إليه وندعوه بخشوع وخضوع بما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة رضي الله عنها حينما سألته قائلة : يا رسول الله إذا وافيت ليلة القدر فبم أدعو ؟ قال لها صلى الله عليه وسلم : اللهم أنك عفو تحب العفو فاعف عني[3] فهو دعاء شامل جامع ندعوه بـــه قـــائلين اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني وعن كل من قرأ هذه الرســـالة وعـــن المســـلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأمـــوات إنك يا ربنا سميع قريب مجيب الدعاء آمين ـــ اللهم يا كريم يا حلـــيم يا غفور يا رحيم عمنا نحن الجميع برحمتك ، وأدخلنا دار كرامتك

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة طه (٨٢)

(٣) رواه الإمام أحمد ، والترمذي

مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

اللـــهم إن كنت وفقت فمنك وحدك التوفيق والمدد والعون ، وإن كانت الأخـــرى فمن نفسي فإن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ، وأسأل الله لكل من يقرأه الرحمة والغفران والرضا والرضوان من رب العباد الرحيم الـــرحمن في الدنـــيا والآخرة . اللهم صل وسلم وبارك على أشرف الخلق ســـيدنا محمـــد وعلى آله وأتباعه وأنصاره ومحبيه وجميع أمة الأحباب عدد كمـــال الله وكمـــا يليق بكماله كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فتحي عبد الكريم غراب

مفتش أول المساجد بوزارة الأوقاف

أهم المراجع

١. القرآن الكريم

٢. تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن للإمام شمس الدين أبي عبد الله القرطبي

٣. تفسير الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام العلامة أبو الثناء محمود بن عبد الله الألوسي

٤. تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي

٥. مختصر تفسير ابن كثير اختصار وتحقيق محمد على الصابوني

٦. فتح البار ي بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني

٧. صحيح مسلم بشرح النووي

٨. فضل ليلة القدر للشيخ موسى بن سعد السنتاوي

٩. النفحات المحمدية في الخطب الحديثة المنبرية للشيخ محمد مصطفى أبو العلا

١٠. تنبيه الغافلين للفقيه الزاهد الشيخ نصر بن محمد السمرقندي

١١. درة الناصحين في الوعظ والإرشاد للشيخ عثمان بن حسن الخوبري

١٢. مدارك المرام في مسالك الصيام للمحدث الحافظ قطب الدين القسطلاني ـــ هدية مجلة الأزهر في شهر رمضان لسنة ١٤١٣هـ

المحتوى